المسيح
الكل في الكل

بقلم

واتشمان نى

تعريب

فخرى كرم

يناير ٢٠٠٩



اسم الكتاب : **المسيح الكل في الكل**
اسم المؤلف : **واتشمان نى**
اسم المترجم : **فخرى كرم**
الطبعة : **الأولى / يناير ٢٠٠٩**
التصميمات والإخراج الفنى والطباعة : **مطبعة الخلاص**
الناشر : **لجنة خلاص النفوس للنشر** ١٢ ش قطة شبرا مصر
مكتبة الخلاص ١٣ ش قطة شبرا مصر ت ٢٥٧٧٦٦٠٥
ت : ٢٥٧٦٤٢٠٠ ـ ٢٥٧٧٢٥٢٦ ـ فاكس ٢٥٧٧٧٧٨٧
بريد إلكترونى : LGNT_ELNSHR@YAHOO.COM



صفحة

تقديم

مـادة هـذا الكتـاب قُدمـت فـي سلسـلة مـن الدراسـات فـي اجتماعـات وسـط الأسـبوع فـي مدينـة «شـنغهاي» بالصـين ما بين عامـى ١٩٣٩_ ١٩٤٠ ، ثم تُرجمت إلى الإنجليزية ونُشرت تحت عنوان «المسيح هو مجموع كل الأمور الروحية».

و هـا بين أيدينا الترجمـة العربية التـي نصلـي أن يسـتخدمها الـروح القدس ليشـرق في أذهاننـا وأرواحنا بإعلان جديد عن شـخص ربنا يسـوع المسـيح ، الذي له وحـده كل المجد إلى الأبد ، آمين.

الفصل الأول

المسيح هو
الطريق والحق والحياة

« قال له يسوع : أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ :٦)

الرب يسـوع يقول هنا : «أنا هو الطريق والحق والحياة» وهو بهـذا يعلِّمنـا أن الطريق الذى يعطيـه الآب لنا هو شـخص المسـيح، والحق الـذى يعلنه الآب لنا هـو أيضاً المسـيح، والحياة التى يمنحها الله لنا هى ذات المسيح. إن شخص المسيح نفسه هو طريقنا وهو حقنا وهو حياتنا. من خلال شـخص المسـيح لنا قدوم إلى الآب. وشـخص المسـيح هو كل مـا في قلـب الآب من نحونـا. إنه الابن الوحيد الحبيب. الآب لم يُعطنا أشـياء كثيرة متعددة بل

أعطانا شخصاً واحداً تجتمع فيه كل البركات الروحية، إنه شخص المسيح له المجد.

نحن عادة نتعامل مع الأمور الروحية باعتبارها «أشياء» مجرّدة ، تعاليم أو عقائد لاهوتية خالية من أية حياة ، لذلك نحن نحتاج أن نطلب من الله لكى يفتح عيوننا لنعرف المسيح نفسه. إن تميُّز المسيحية مُؤسَّس على حقيقة أن منبعها وعمقها وغناها في معرفة شخص ابن الله، ولا قيمة لحجم معرفتنا للتعاليم والعقائد المجرّدة ولا لمدى حماسنا وإخلاصنا بل المهم حقاً هو معرفتنا الشخصية والحقيقية لابن الله، معرفة ابن الله هى الطريق والحق والحياة، وتكمن كل قوتنا الروحية في معرفتنا لابن الله ،لأن الله لم يعطنا أى شىء بعيداً عن ابنه.

المسيح هو الطريق

كلمة «الطريق» التى قالها المسيح قد تعنى «الطريق» إلى الآب كما تعنى أيضاً «الطريقة» أو المنهج الذى نتبعه

في سيرنا إلى الآب وبامتلاكنا للمسيح نحن نمتلك الطريق إلى الآب كما نمتلك المنهج الذى نتبعه للسلوك في هذا الطريق. كل مؤمن حقيقى لابد أن يكون قد تعلّم هذا الدرس ولو مرة واحدة في حياته، **ألا وهو: أن الرب يسوع هو الطريق وهو المنهج للسير في الطريق.**

إن كنت قد اختبرت الخلاص فأنت بلا شك قد وثقت في الرب يسوع بصفته طريقك إلى الله، لأنه هو الطريق الوحيد وبدونه لا يستطيع أحد أن يأتى إلى الآب. شكراً لله لأن كل المؤمنين الحقيقيين عرفوا معنى السير في هذا الطريق، وأعداد لا تُحصى من المُخلَّصين قد تعلَّموا هذا الدرس ولو مرة واحدة في بداية الإيمان، درس القدوم إلى الآب من خلال يسوع ابن الله. إن هذا الطريق ليس سوى شخص المسيح نفسه، لا يوجد أى طريق أو منهج آخر بخلاف شخصه يمكن أن يأتى بنا إلى الآب. إننا نحتاج أن تنفتح عيوننا فنرى أن الرب يسوع وحده - وليست أى وسيلة أخرى - هو الطريقة التي بها نتلامس مع الله،

فـــي وقت حـصولنا علــى الخلاص أولاً ثم فـــي كـل أيامنـا بعـد ذلك.

والمسيح هو المنهج

بعض المؤمنين يبحثون عن «منهج» روحى للانتصار. في أحد الاجتماعات ـ وبعد خدمة عن الانتصار من خلال المسيح وليس من خلال الذات ـ أخذ أحد الإخوة بيد الخادم وقـال له «لقد ذقـت مرارة الهزيمة لعدة سـنوات ولكنى أعتقد اليوم أن كل شـــيء سيصير على ما يرام» فسأله الخـادم «لمـاذا تعتقد هذا ؟» فأجابـه الأخ «لأنى الآن أعرف الوسـيلة للانتصار . لقد فهمـت اليوم المنهج الصحيح للانتصار. شـكراً لله» لكن الخادم أجابه بصراحة «لو كل مـا أخذته اليوم هو فهم لمنهج جديد للانتصار فسـوف تعود للهزيمة مرة أخرى» !!

لمـاذا قـال الخادم هـذا ؟ لأن الرب يسـوع قـال «أنا هو الطريق» أى أنه هو شخصياً «المنهج» أو الوسيلة الوحيدة

للوصـول إلى أي انتصار روحى. ولا توجد طريقة بعيداً عن شـخصه الكريم . ولا يوجد تعليم يصلح أن يكون وسيلة للانتصـار. الله لم يعطنا أية وسـيلة روحيـة بل أعطانا شخصاً . أعطانا ابنه الوحيد.

كثيراً ما نستمع لاختبارات الآخرين ونشعر بقيمتها. لكننا للأسـف نرى في هـذه الاختبـارات «المنهج» الذى اتّبعـوه بـدلاً من أن نرى الـرب الذى قادهم بهـذا المنهج. وما يبقـى معنا بعد سـماعنا للاختبار هـو «الطريقة» التى سـارت بها الأحداث وليس الرب المُحرك لكل الأحداث. ولذلك نحن نعانى الهزيمة تلـو الأخرى رغم محاولاتنا أن نتّبع ذات الأسـلوب الذى اتّبعه الآخرون. والسـبب هو أننا لم نتعلّم بعد أن الرب نفسه هو وحده الطريق .

دعونـا نـدرك جيـداً أن الإيمـان بالرب نفسـه والإيمان بأسـلوب ما. هما عملياً أمـران مختلفان تمامـاً. ولنأخذ لهذا مثلاً : أحد الإخوة انفتحت عيناه بنعمة الله فرأى أى نوعٍ من الناس هو وأدرك فسـاده الداخلى . فرفض نفسه

ووضع ثقته في الرب لكى يفعل بداخله ما لم يستطع هو أن يفعله، وكنتيجة لهذا شعر بالحرية والسلام في محضر الله، وبعد فترة قدّم شهادته عما حدث معه لأحد الإخوة، وبناءً على هذه الشهادة حاول الأخ الثانى أن يرفض نفسه وينكسر أمام الله و يتخلّى عن أى ثقة في ذاته، تماماً كما فعل الأخ الأول، لكن لدهشته لم ينل أية حرية أو سلاماً في محضر الله !! ما هو التفسير لهذا الاختلاف بينهما رغم أن الأخ الثانى اتّبع نفس الأسلوب الذى اتّبعه الأخ الأول ؟!

التفسير هو أن الأخ الأول لديه إيمان حى أخذه من الرب نفسه، وبهذا الإيمان استطاع أن يمسك بالرب نفسه ويضع ثقته فيه، أما الأخ الثانى فليس عنده إيمان حى بل مجرد «أسلوب» استقاه من اختبار الأخ الأول، كل ما عنده هو «نسخة كربونية» مكرّرة من صيغة إيمانية سمعها من الآخرين، ولذلك لم يستطع بها أن يصل إلى الرب نفسه، الأخ الأول كان عنده الرب الحي أما الأخ الثاني

فعنده أسلوب جاف بلا قوة أو تأثير، لأن أى أسلوب بعيداً عن شخص المسيح هو شىء ميت.

دعونا نؤكد هذه الحقيقة : إن أى أمر روحى بعيداً عن شخص المسيح هو شىء ميت. كثيرون من الناس يتساءلون «كم هو غريب أن الأخ فلان يثق في الله ويصلى وصلاته مُستجابة بينما نحن أيضاً نثق ونصلى ولا تُستجاب صلواتنا ، لماذا يكون الله كريماً معه وليس هو كذلك معنا»؟ إنهم يشتكون على الله ويتهمونه بالتفرقة والتحيُّز، بينما هم لا يدركون أن ما يؤمنون به ليس سوى تعاليم ومعتقدات ، أى أن إيمانهم هو بأشياء وليس بشخص الرب نفسه، لذلك فإيمانهم ميت لأنه لا توجد حياة في التعاليم والمعتقدات ، الحياة في شخص المسيح وحده، حتى لو تعلّم الإنسان قدراً من التعاليم الروحية و الأساليب الناجحة فهذا لن يجعله مؤمناً حياً أو ابناً لله . **لأن أبناء الله يخرجون إلى الحياة من خلال "الميلاد" وليس من خلال "التعليم"**.

الـرب يؤكـد هنا «أنـا هـو الطـريق» أى أن المسـيح هو الطريـق وهـو الطـريقــة أو المنهج للوصـول إلـى الله، هل المسـيح هو طريقــك؟ وهل هــو طريقتــك؟ أم أنك تتبع طريقاً ميتاً وطريقة جوفاء؟ متـى كـان شخص المسيح هو طريقنا فسـوف نصل إلـى هدفنا بنجاح، لكن إذا كـان كل ما نملكه هو مجرد أسـلوب ـ مهما كـان حسـناً ومتميزاً ودقيقاً ـ فسوف نفشل بالتأكيد، لأن أى أسلوب هو شـىء ميت وليست له أية قيمة روحية.

السـبب الكامـن وراء العديـد مـن الصلـوات غيـر المسـتجابة والشـهادات غير المُجدية هو أننا لا نتلامس أو نتعامل مع الرب نفسـه، وما عندنا هو مجرد نُسـخ من اختبارات الآخرين.

فـي إحدى المـرات قدّم خادم للرب خدمـة من (رو٦ ـ ٨) وبعـد الخدمة قـال أحد الإخـوة : «اليوم أنـا أفهم طريق الغلبة، الآن صار كل شــىء واضحــاً ، وأنا أثق أنـى من الآن لن أعود للهزيمة كما في الماضي »!! أخ آخر أتـى إلـى الخادم

ونكّس رأســه لبرهة صامتــاً، وعندما ســأله الخادم عما يشــعر به أجابه بتردد «أنا لا أعــرف كيف أصف ما حدث معـى ، لكـن الرب فتح عينـىَّ ، ورغـم أنـى لا أجرؤ علـى القـول إنـى رأيت الرب بوضوح إلا أنـى بلا شك تلامست معه »!!

مــا الفرق بين الاثنــين ؟ الأخ الأول لم يتلامس مع الرب نفســه بل كـل ما أخذه هو فهم جديـد لمنهج الانتصار، لذلــك لاشــك أنه عاد إلــى الهزيمة مرة أخــرى !! أما الأخ الثانـى فلـم يأخذ منهجاً بل أخــذ الـــرب نفســـه ، لذلك لا شك أنه ظل ثابتاً.

أحياناً كثيرة يكون الدافع وراء سماعنا للخدمة خاطئاً، بدلاً من أن نسأل الرب لأجل إعلان جديد لكـى نستطيع أن نرى شــخصه بشــكل أوضح تجدنا نستمع للخدمة لكـى نحتفظ في عقولنا بأسـلوب جديد نحــاول أن نتّبعه في حياتنــا ، لذلك ـ حتـى لو اتبعنا هذا الأســلوب ـ فلن نصل إلـى أى شــىء !!

فـــي المقابل لــو طلبنا مــن الرب إعلاناً عن شــخصه

فسيعطينا ولو لمحة صغيرة ، ربما تكون صغيرة لدرجة أننا لا نجرؤ على القول أننا رأينا الرب بوضوح لكننا رغم ذلك نكون قد تلامسنا مع الرب نفسه ، وهذه اللمحة تؤدى إلى تغيير حقيقى ، شكراً للرب !! هذا هو الطريق : ليس أننا فهمنا أسلوباً جديداً بل أننا عرفنا الرب أكثر، لأن الرب نفسه هو « الطريق »!!

لذلك ينبغى أن نمتحن أنفسنا ونحن نستمع إلى أى خدمة أو شهادة : هل نحن الآن نتلامس مع الرب نفسه أم نفهم بأذهاننا طرقاً جديدة فحسب؟ ليس هناك انتصار يمكن الحصول عليه من فهم طرق معينة بل الانتصار في معرفة الرب نفسه. اختبارات الآخرين لن تخلّصنا بل الرب وحده هو المخلِّص. كلمات الإخوة الأتقياء قد تنقل لنا بعض المعانى المجرّدة لكنها لن تنقل لنا حياتهم التى أخذوها من الرب. الرب إلهنا هو رب الحياة وكل من يتلامس معه يتلامس مع الحياة. التلامس مع الرب نفسه يعطى حياة.

المسيح هو الحق

الرب لا يقدم نفسه لنا بصفته الطريق فقط بل أيضاً بصفته الحق. والحق لا يعنى الكلمات والتعاليم التى تختّص بشخص المسيح بل يعنى شخص المسيح نفسه. كثيراً ما يتعامل المؤمنون مع التعاليم والعقائد الخاصة بالمسيح باعتبارها «الحق». بالرغم من أن «الحق» ليس شيئاً بل شخصاً. لقد قال الرب «وتعرفون الحق والحق يحرركم» (يو٨:٣٢).

إخوتى: هل تذكرون كم مرة قام الحق فعلاً بتحريرنا؟ في هذه المرات فقط كنا نتعامل فعلاً مع «الحق» لأن كلمة اللّه تؤكد لنا أن الحق ـ إن عرفناه ـ سوف يحررنا. لكن للأسف كم من مرات أخرى كان الحق بالنسبة لنا مجرد عقيدة أو تعليماً، ولم تنفتح عيوننا لترى شخص المسيح نفسه. قد نظل نتكلم عن التعاليم الخاصة بالرب لعشرات السنين ومع ذلك نبقى بدون رؤية حقيقية لشخص الرب نفسه !! وقد نظل نستمع لذات

العقائد لعشرات السنين بدون رؤية الرب نفسه!! إننا نستطيع أن نتكلم عن عقيدة الموت مع المسيح بدون أن نختبر معنى هذا الموت، ويمكن أن نتحدث عن حياة القيامة بدون أن نختبر قوتها. لو كل ما نتعامل معه هو التعاليم والعقائد فإننا نتعامل مع شيء ميت!!

كتب أحدهم إلى خادم للرب قائلاً «أحد الإخوة أخطأ إلىَّ، وأنا لست متأكداً ما إذا كان ينبغي أن أغفر له أم لا، لذلك أسألك لكي ترشدني. إن قلبي هادىء أمام الله. إن قلتَ ينبغي أن أغفر له فسأغفر، ولو رأيتَ أنه ليس من الضروري أن أغفر فلن أغفر» !!

إخوتي: ما رأيكم في هذا المؤمن؟ لنفترض أن أعزّ أصدقائي قد مات، فكتبتُ خطاباً لأحد الإخوة أقول «إن أعزّ أصدقائي قد مات، أتراني ينبغي أن أبكيه؟ لو قلتَ إنه ينبغي أن أبكي فسأبكي، ولكن إن رأيتَ أنه ليس من الضروري البكاء فلن أبكي»!! لاشك أنكم ستضحكون على هذا الخطاب لأنه سخيف وغير معقول. لو بكى

شخص أو لم يبكِ بناءً على توصية من شخص آخر يكون بكاؤه أو عدم بكائه ليس حقيقياً. كلاهما مزيف!! كلاهما من قبيل الأعمال الميتة التي ليس فيها حياة. وهكذا الأمر مع الغفران لمن أساء إلينا. إذا كنا نغفر أو لا نغفر بموجب تعليم أو عقيدة جامدة فكلاهما سيكون باطلاً!!

إخوتي، إن كل عمل لا يعيشه المسيح فينا هو عمل ميت، ليس فيه حياة ولا يستطيع أن يُحيينا مهما كان مُؤسساً على تعاليم صحيحة. هل تدركون الفرق هنا؟ أنه فرق كبير لا يمكننا أن نغفله : العمل المجرّد يحتاج فقط إلى الذاكرة التي نحتفظ فيها بالتعاليم والوصايا. أما العمل الخارج من المسيح الذي فينا فلا تغذّيه الذاكرة بل الحياة الكامنة في أعماقنا. وهذه الحياة تفيض من داخلنا بتلقائية وعفويّة وبدون مجهود. وينبغي أن يكون الرب نفسه ـ وليس التعليم أو العقيدة ـ هو المسيطر علينا والمحرك لكل أعمالنا. ينبغي أن يأتي اليوم الذي فيه

يفتح الله عيوننا لنرى أن الحق هو المسيح. ليس الحق هو أن نحاول تذكر تعاليم معينة ونعمل بموجبها. الحق هو أن يحيا المسيح فينا. **المسيح هو الحق لذلك فالحق شخص حى ويُحيى.**

جُرح أحد الأخوة من أخ آخر ولما لم يستطع أن يكتم مشاعره ذهب ووبّخ أخاه بعنف. فيما بعد بكّته ضميره وشعر أنه ينبغى أن يذهب إلى أخيه ويعتذر، ولكن عندما تذكر كيف جُرح من هذا الأخ عاوده الشعور بالغضب. وفي نفس الوقت ظل يشعر بأنه مدين لأخيه بالاعتذار. لذلك قرّر أن يرسل إليه خطاباً بدلاً من أن يذهب إليه بنفسه. فأخذ قلمه وبدأ يكتب «أنا أشعر أنى أخطأت عندما وبّختك بعنف و..» وهنا تذكر الجرح مرة أخرى وعاد غضبه يشتعل بداخله . فوضع القلم وكفّ عن الكتابة. ولكن بعد فترة ـ وتحت الإحساس بالواجب ـ عاد يتناول قلمه ويكمل خطاب الاعتذار رغم أنه ظل غاضباً من أخيه حتى بعدما أرسل الخطاب !!

ما رأيكم في هذا الموقف؟ بحسب الظاهر يبدو أن هذا الخطاب مكتوب من أخ يعتذر لأخيه. إلا أننا نعلم أن هذا الاعتذار نابع من تعليم موجود في ذهن هذا الأخ وليس من الحياة التى في أعماقه. لذلك رغم أنه كتب خطاب الاعتذار إلا أن قلبه ظل مملوءاً غضباً وغيظاً ، وإذا قابل أخاه مرة أخرى فقد يصافحه بحرارة ظاهرياً إلا أن الغضب مازال كامناً في داخله. وحديثهما لا يمكن أن يكون تلقائياً بل مفتعلاً.

إخوتى. هل نستطيع الآن أن نرى الفرق؟ إن الرب هو الحق. لو كان الحق بالنسبة لنا تعليماً وليس الرب نفسه فهو شيء ميت. ليتنا ندرك أنه إذا كان الرب موجوداً في أى أمر من أمورنا الروحية فهذا الأمر حى. لكن إذا لم يكن الرب بنفسه موجوداً فهذا الأمر ـ مهما كان ـ هو أمر ميت. وكل عمل نعمله كنتيجة لإشراق الرب علينا وعمله في داخلنا هو عمل حى. وكل ما عدا ذلك أعمال ميتة .

المسيح هو الحياة

بعد قوله «أنا هو الطريق والحق» أضاف الرب «والحياة»، ونحـن نعلم أن الحياة تتدفق تلقائياً في شـكل «عمل»، ولكـن ليس كل «عمـل» نابعـاً بالضرورة مـن «الحياة». العمل قد يكون نتيجة الالتزام بقوانين وتعاليم مختزنة في الذهن ولذلـك يكون مرهقاً وشـاقاً. أما الحياة فهى تفيض بعفوية و تلقائية من داخلنا وتتجسـد في عمل خارجى ، ولكن العمل في هذه الحالة يكون سهلاً ومريحاً للنفس، إن الحياة هى المسيح نفسه .

كم يتعـب البعـض كى يصيـروا مؤمنـين !! إنهم يظنـون أن الإيمان هو الالتزام ببعـض القوانين الأخلاقية والعقائد الدينية، لذلك يجتهدون للالتزام بهذه القوانين والعقائـد، وكـم هى مرهقة تلـك القوانـين والعقائد!! إنهـا تطالبهم أن يكونوا متواضعـين و لطفاء و غافرين وطويلـى الأنـاة... وكم هـو صعب أن يكونـوا هكذا كل الوقت!! لذلك هم يعتقدون أنها مهمة شـاقة أن تكون

مؤمناً!! وهـذا ينطبق بالأكثر على الشـباب في مقتبل العمر ، كلما حاولوا أكثر، بدت لهم المهمة أكثر صعوبة ، ورغـم محاولاتهم المتعددة إلا أنهـم مازالوا لا يحملون صفات المؤمنين بعد!!

إلـى كل هؤلاء أقول : لو لم يكن المسـيح هو حياتنا لـكان المطلـوب منـا «نحـن» أن نقـوم بهـذه الأعمال الشـاقة، أما إذا كان المسـيح هو حياتنا فسيقوم «هو» بهذه الأعمال فينا، ووقتها سـتكون تلك الأعمال سهلة وميسورة لأنها تنبع بتلقائية من داخلنا. إذا كان المسيح هو حياتنا فلن نحتاج كل هذا المجهود الشاق .

هناك خطأ خطير منتشـر وسط أبناء الله : كثيرون منهـم يعتقدون أن الحياة هي شـىء ينبغى أن يصنعوه بقواهـم الذاتية وإلا فلن تكون هناك حياة على الإطلاق ، لكن الحقيقة التى ينبغى أن ندركها جميعاً هى أن الحياة لا تحتـاج إلى أدنى مجهود منا لكـى توجد، الحياة تتدفق بطبيعتها وبدون معونة من أحد .

تأملــوا لبرهة كيــف تبصر عيوننا وتســمع آذاننا. إن عيوننا تبصــر بطبيعيــة وآذاننا تســمع بتلقائية وبدون مجهــود. ذلك لأن فيهــا حياة. ينبغــي أن نتيقن من هذه الحقيقة تماماً : «الحياة» تفيض بطبيعيّة في شكل «عمل» لكن «العمل» لا يمكن أبداً أن يكون بديلاً عن «الحياة».

لنأخــذ لهذا مثــلاً : إذا رأينا إنســاناً مهذبــاً للغاية ولطيفاً فهل نســتطيع أن نمتدحــه قائلين «إن حياة هذا الإنســان رائعة ؟» كلا ، إن كلمة «حياة» هنا ليســت في محلها ، لأن المسيح قال « أنا هو الحيــاة » مهما كان هذا الإنســان مهذباً ولطيفــاً إلا أننا لا نستطيع أن نعتبر هذه الصفــات «حياة» طالما لم تنبع من المســيح شــخصياً ، نســتطيع أن نقول إن هذا الإنسان لديه أخلاق حميدة أو أنه لطيف أو أنــه متسامح ولا يسبب مشــاكل ، لكننــا لا نستطيع القول إن عنده «حياة» روحية حقيقية. لو كل هذه الصفات الحسنة موجودة في شخصيته بالطبيعة فهى ليســت « حياة » لأنها لم تنبع من المســيح ، الحياة

تفيض من داخلنا في شــكل أخلاق حميدة لكن الأخلاق الحميدة لا يمكن أن تخلق فينا حياة !!

آخــرون يعتقــدون أن «الحياة» هى «القــوة». أن يكون الــــرب هــو حياتنـــا يعنى ـ فــي اعتقادهم ـ أن نأخذ منــه القوة لفعــل الخيــر ، إلا أن الله يخبرنــا أن حياتنا ليست «شــيئاً» بل هى المسيح نفســه. حياتنا ليست «القــوة» التى نعمل بها الخير بل هى «الشــخص» الذى يعمل الخير من خلالنا. إنها المســيح مُعلناً نفســه فينا وليســت مجرد قــوة نأخذها لكى نتباهــى بعمل الخير. الحياة ليســت قوة مجرّدة بل قوة متجسدة في شخص المسيح له المجد !!

اعتــاد أحد الإخوة على حضــور اجتماعات روحية في مكان بعيد عن كنيســته. وذات مرة ســأله أحد شــيوخ كنيســته «لمــاذا تذهــب كثيــراً إلــى تلــك الاجتماعات بالــذات»؟ فأجابه الأخ «لأن هناك حياة»!! فقال الشــيخ «فعــلاً. بالنظر إلى الجو الحماســى تكــون اجتماعاتهم

أفضــل بكـثير من اجتماعاتنا» لكـــن الأخ أجابه «أنت لم تفهمنى، هذه الاجتماعات ليس فيها جو حماسي على الإطلاق» فسأله الشيخ مندهشاً «ماذا تقصد إذاً ؟ كيف تكون هناك حياة إذا لم يكن هناك حماس»؟ فأجابه الأخ «إنك لا تسمع هناك أصواتاً عالية بالمـرة ومع ذلك فهناك حياة واضحة ، لأن الحياة لا تعبّر عن نفسها بالضرورة في حماس عاطفى أو انفعالات أو أصوات عالية».

عندئذ حاول الشيخ أن يبرّر الوضع في كنيسته فقال «أنتم الشــباب تحبون الصخب والمشاعر الفياضة لكننا نحـــن نفضّل التعاليم العقلية، أنا أحب الاســتماع إلى الأقوال التعليميـــة وأعتقد أن هذه هي الحياة الحقيقية» لكن الشــاب أجاب بصراحة «لقد استمعت مراراً عديدة لتلــك الأقوال التـــى تقصدها ولكنى لم أجــد فيها أية حياة على الإطلاق»!!

من حديث هذين الأخوين نستطيع أن نفهم أن الحياة ليست انفعالاً عاطفياً كما أنها ليست كلمات عقلانية،

فالحماس والصوت العالى ليســا دليلاً علـــى الحياة تماماً كمــا أن الأقوال المنطقية والمناقشــات العقلية ليســت دليلاً على الحياة .

ليس من المســتغرب إذاً أن يســأل البعض «عجباً أمر هذه الحياة التى ليســت حماساً وليســت فكراً ، ما هي الحيــاة إذاً ؟ وأين يمكننـــا أن نجدها»؟! نحن نعترف أننـــا لا نمتلك تعريفاً كافياً نستطيع به التعبير عن ماهية الحياة، كل ما نســتطيع قولــه هو أن الحياة أعمق من المشــاعر وأرقى من الفكر، بمجرد أن يتقابل معها الإنسان تدبُّ في أوصاله القوة و الطاقة، هذا ما نسميه «الحيـــاة»!!

الحياة أرقى من الفكر ، الفكر لا يتفوّق أبداً على الحياة، وأيضاً الحياة أعمق من المشــاعر ، المشاعر سطحية جداً بالمقارنة مع الحياة ، **كل من الفكر والمشــاعر سـطحى ومتأثر بالخارج أما الحيــاة فعميقة وتنبع من الداخل**.

ما هى الحياة إذاً ؟ لقد قال الرب بوضوح «أنا هو الحياة»، دعونا لا نحكم بسرعة أننا وجدنا «الحياة» عندما نصادف

نوعاً من «الجو الروحى الساخن» كما يحلو للبعض أن يسمّيه، بل دعونا نسأل بالأحرى «من أين ينبع هذا الجو الساخن»؟ فالعديد من الاختبارات تؤكد لنا أن الكثيرين من محترفى خلق الأجواء الساخنة لا يعرفون إلا أقل القليل عن شخص الرب يسوع المسيح !! العديد من الأشخاص سريعى الانفعال تجدهم للأسف ناقصين جداً في المعرفة الحقيقية للرب. أيها الأعزاء : إن المسيح وحده هو الحياة وكل ما عداه موت!!

نحتاج أن نتعلم هذا الدرس جيداً : إن الحياة لا تعتمد على حجم حماس مشاعرنا أو حجم الأفكار التى تدور في أذهاننا، لكنها تعتمد بالكامل على ما إذا كان الرب يعلن نفسه لنا أم لا . ولا يوجد شىء أهم من معرفة الرب نفسه . وبينما نتعرَّف على شخصه نجد أنفسنا نتلامس مع الحياة !!

ينبغى أن نفهم تماماً في محضر الله معنى أن المسيح هو حياتنا . هؤلاء الذين ينفعلون عاطفياً

بسهولة أو أولئك الذين يمتلكون معرفة ذهنية كبيرة ليسوا بالضرورة لهم معرفة بالرب، لأن معرفة شخصه تحتاج إلى رؤية روحية وليس إلى انفعال عاطفى أو معرفة ذهنية، وهذه الرؤية الروحية تمنحنا الحياة وتغيّرنا. إذا كنا نعرف الرب كحياتنا فلابد أننا ندرك عدم جدوى كل المجهودات الطبيعية في الأمور الروحية، وهذا يجعلنا نثبّت أنظارنا على شخص الرب وحده.

في بداية الإيمان لا ندرك تماماً معنى النظر إلى الرب، لكن بالتدريج نبدأ نتعلم كيف ننظر إليه وحده، لأننا نبدأ إدراك كيف أن كل الأمور الروحية تعتمد في وجودها على المسيح وليس علينا. في البداية كنا نشتاق لامتلاك هذا الأمر أو ذاك من الأمور الروحية، كنا ننظر إلى الأمور و ليس إلى الرب وحده . لكن بعدما تعلمنا أكثر بدأنا نفهم أهمية الثقة في الرب وحده من جهة كل الأمور . ليس بمعنى أن نثق في قدرته أن يعطينا هذا الأمر أو ذاك بل أن نثق في قدرته أن يحيا فينا هذا الأمر أو ذاك .

في بداية الإيمان كنا نميل إلى فعل كل شيء بأنفسنا خوفاً من أن شيئاً لن يحدث إن لم نعمله بأنفسنا، وإن كل الأمور ستفشل إذا لم نَقُم نحن بعملها . ولذلك كنا نعمل ونتعب كل الوقت، لكن فيما بعد بدأنا نتعلم كيف أن الكل من المسيح وليس منا، وبالتالى بدأنا نتعلم أن نهدأ ونتطلع إلى شخصه وحده، أخيراً بدأنا نرى أن الرب هو «حياتنا» .

دعونا نتذكر دائماً هذه الحقيقة : إن الله بدلاً من أن يعطينا أمراً تلو الآخر من الأمور الروحية أعطانا مرة واحدة ابنه الحبيب !! ولذلك يمكننا دائماً أن نرفع قلوبنا وأنظارنا إلى الرب ونقول «يارب أنت طريقى، يارب أنت حقى، يارب أنت حياتى، أنت وحدك يارب الذى تعنينى وليست الأمور التى تعطيها لى»

ليتنا نطلب نعمة من الله حتى نرى المسيح في كل أمورنا الروحية . يوماً بعد يوم نقتنع أنه بعيداً عن المسيح لا يوجد طريق ولا حق ولا حياة، من السهل جداً أن نجعل

«الأشياء» الميتة طريقاً وحقاً وحياة، أو أن ندعو «الجو الساخن» حياة، أو نعتبر «الفكر الراقى» حياة، أو نظن السلوك الحميد حياة، بينما الحقيقة أن كل هذه ليست الحياة، المسيح وحده هو الحياة، إنه يعيش هذه الحياة في داخلنا، ليتنا نطلب منه أن يخلصنا من الأمور السطحية والثانوية لكى نستطيع أن نتلامس مع شخصه وحده، ليتنا نرى الرب في كل الأمور، إن الطريق والحق والحياة كلها موجودة في معرفة شخصه، ليتنا بالحق نتقابل مع ابن الله وندعه يحيا حياته المباركة فينا. آمين.

الفصل الثانى

المسيح هو القيامة والحياة

« قال لها يسوع : أنا هو القيامة والحياة »
(يو ١١:٢٥)

نقرأ في الإصحاح الحادى عشر من إنجيل يوحنا أن الرب يسوع أعطى الحياة لشخص مات منذ أربعة أيام. إنه يستطيع أن يقيم الميت ولقد أقامه فعلاً ، ولكن بدلاً من أن يقول «أنا أستطيع أن أقيم الميت» قال «أنا هو القيامة»!!

كانت مريم و مرثا موجودتين في هذا اليوم ، وبالنظر إلى حالتهما النفسية كنا نظن أنه من الأفضل أن يقول الرب لهما «لا تقلقا من جهة أخيكما لأنى أستطيع أن أقيمه وسوف أقيمه» فالإنسان عادة يحب سماع أن الله

قادر وسيعطيه الخير الذى يطلبه، وصلواتنا في معظمها هى لأجل أن يعمل الرب لنا هذا الأمر أو ذاك. **لكن الرب يريدنا أن ننظر إلى شخصه وليس إلى ما يعمله لنا، لأن عمله مؤسس على شخصه.**

كانت مرثا تؤمن بقدرة الرب ولذلك قالت له «يارب، لو كنت ههنا لم يمت أخى» وهكذا أيضاً قالت مريم ، ولكنهما فشلتا في فهم أن الرب نفسه هو القيامة والحياة. ليتنا نتعلم أن كل ما يعمله الله معنا هو بحسب طبيعته له المجد. فنحن نفشل كثيراً في قبول أعمال الله في حياتنا لأننا لا نفهم طبيعته.

يريد الرب يسوع أن يخبرنا هنا أنه ليس قادراً على إعادة الحياة إلى إنسان مات بل أنه هو نفسه الحياة. ليس أنه يستطيع أن يقيم الميت بل أنه هو شخصياً القيامة. دعونا نسأل الله أن يفتح عيوننا لنرى من هو الرب؟. ينبغى أن نرى في محضر الله أن المسيح هو كل شيء بالنسبة لنا ، بهذه الرؤية سنحقق تقدماً حقيقياً في

حياتنا الروحية ، من الضروري أن ندرك هذا الحق : **أن الله ليس لديه ما يقدمه لنا سوى المسيح** ـ!! وكل تقدم حقيقي في الحياة الروحية يعتمد على مدى استيعابنا لهذا الحق. إخوتي : هل نحن نعرف الله أم نعرف فقط الأعمال التى يعملها لنا ؟!

إن موضوع الأصحاح الحادى عشر من يوحنا ليس كيف أقام الرب يسوع «لعازر» من الموت بل بالأحرى كيف أن شخصه كان «القيامة» للعازر!! هل نرى الفرق هنا؟ الرب نفسه هو القيامة، ولأنه كان القيامة بالنسبة للعازر لذلك قام لعازر من بين الأموات، وما فعله الرب أمام الناس كان هو الجزء الظاهر من القيامة أما جوهر القيامة فكان كامناً في طبيعة شخصه له المجد. إننا لا نقول إن الرب لم يُقم لعازر لكننا نريد أن نقول بالأحرى أنه كان القيامة بالنسبة للعازر ولذلك قام لعازر من الموت .

من المفيد لنا أن نفهم أن كل أعمال الله في المسيح

خاضعة لهذا القانون : **لأن الرب بذاته موجود فينا لذلك نحن نمتلك هذا الأمر أو ذاك من الأمور الروحية** ، وجود الرب أولاً ثم امتلاكنا لأعماله وعطاياه ثانياً. إذا كان الرب «الحياة» فينا فنحن نمتلك الحياة، إذا كان الرب «القيامة» فينا فنحن نتمتع بالقيامة .

مؤمنون كثيرون يتحدثون عن المُعطى وعطاياه كلٍ على حدة، لكن يوماً ما لابد أن نكتشف أن المُعطى هو نفسه عطاياه !! الله لا يحمل عطايا مختلفة يعطيها لنا الواحدة بعد الأخرى، لقد أعطانا المسيح مرة واحدة، وفي المسيح مُذخَّر لنا كل العطايا، ليت عيوننا تنفتح حتى نرى أن كل الأشياء هى في المسيح .

في هذا الأصحاح يعلن الرب عن نفسه «أنا هو القيامة والحياة» ولأنه هو القيامة لذلك لا توجد عقبة تعوق لعازر عن القيامة من بين الأموات. الجميع يؤمنون أن الرب أقام لعازر من الموت لكن الأكثر أهمية هو أن نؤمن أن الرب نفسه هو القيامة، ليس المهم هو الفعل

الظاهــر للقيامة بل المهم حقاً هو معرفة الرب يســوع نفسـه بصفته القيامة .

كثيــرون يؤمنـــون بالرب يســـوع بصفتـــه «مُعطى الحيـــاة» لكن أن نؤمن به بصفته «الحيــاة» بذاتها فهذا شـــيء مختلف تماماً. إنه ليس فقــط معطى الحياة بل هــو الحياة نفســها. إنـــه رب القيامة والقيامـــة ذاتها!! بمجرد أن تتلامس أرواحنا مع هذه الحقيقة نفهم أن كل ما أعطاه الله للإنســـان هو المســيح. ليت الله يعطينا قبســاً من نور يضيء داخلنا لندرك أن الرب يســـوع هو كل شـيء لنا.

قال يسوع «أنا هو القيامة والحياة». إن القيامة والحياة تشـــملان الكتاب المقدس كله. لذلك من المهم أن نعرف ماهية القيامة والحياة:

المسيح هو الحيـاة

فـــي جنة عدن وضع الله الإنســـان الذى خلقه. وكان

هنـــاك اختيـــاران أمام الإنســـان : أن يحيـــا أو أن يموت ، إذا أكل ثمــر شـــجرة الحياة ســيحيا و إذا أكل ثمر شـــجرة معرفة الخير والشــر سيموت. والإنسان الذي خلقه الله كان «حســـناً جداً» وكانت له حريـــة الإرادة والقدرة على الاختيـــار بين الحياة والموت ، في ذلك الوقت كان الإنســـان يمتلــك القـــدرة على التفكيــر والحركة ولكنـــه لم يكن يمتلك «الحياة» !!

بالطبـــع نحـــن لا نقـــول أن آدم لم يكن حيـــاً. بالنظر للحيـــاة الطبيعية كان آدم نفســـاً حية (تـك ٢:٧) لكن بالنظــر للحياة الموجودة في شـــجرة الحيـــاة لم يكن آدم يمتلك هذه الحياة . إنه يمتلك القوة للتفكير والإحســـاس وهذه هي وظائف النفس الأساسية. إلا أنه لا يمتلك الحياة كما هي ممثلة في شـــجرة الحياة. وكما قلنا ســـابقاً هذه الحياة أعمق من المشاعر و أعظم من الفكر .

كل شـيء في الحياة المســيحية له نظيره المزيف :

هناك توبة مزيفة ، واعتراف مزيف ، وتجديد مزيف. وحماس

مزيف ، وأعمال معجزيه مزيفة ، ومواهب للروح القدس مزيفة، وهناك أيضاً حياة مزيفة!! كثير من المسيحيين يعتبرون أن المشاعر الفياضة هى الحياة ويظنون أن الحماس المتقد والصوت العالى دليل على الامتلاء بالحياة. إنهم لا يستطيعون التمييز بين الحياة والمشاعر، ولا يعرفون كيف أن الأولى أعمق بكثير من الثانية .

فئة أخرى من المسيحيين تعتبر أن الفكر المثالى حياة ، لو وجدوا في العظة قدراً كبيراً من الأفكار المثالية والكلمات الممتعة والحجج القوية فإنهم يعتبرونها مملوءة بالحياة . لكن المؤمنين الذين اختبروا الحق وتعلّموه من الله يقولون لنا إن الحياة أعمق بكثير من المشاعر وأرقى من الفكر. الحياة ليست عملاً نعمله . الإنسان النشيط والحماسي والمتحرك ليس بالضرورة حياً، إنه مشحون بالأعمال ولكن هذا لا يمكن اعتباره حياة . إنه **"يعمل" ولكنه لا "يحيا"** !!

ليس المقصود أن الحياة ليس فيها فكر أو إحساس أو عمل، بل أنها أعمق وأعظم من كل هذا. قد تسمع كلمات من شخص وتشعر فيها بالحياة بينما تشعر أنها مجرد كلمات عندما تسمعها بذاتها من شخص آخر. قد تلتقي بمشاعر حارة في إنسان ما ولكنك تلتقي بالحياة في آخر. بعض الإخوة يعتبرون إحساسات معينة داخلهم إنها الحياة إلا أن الذين تعلّموا من الله يعرفون أنها ليست كذلك ، وآخرون يعتقدون أن أفكارهم السامية هي الحياة لكن المؤمنين المختبرين يعرفون أنها ليست حياة على الإطلاق !!

قد يتحدث اثنان بنفس التعليم من نفس الجزء الكتابى ، لكنهما - بالنسبة للمؤمن المختبر - مختلفان تماماً، الأول لديه فكر فقط بينما الثانى لديه حياة إلى جانب الفكر. الفكر المحض ليس حياة . هذان أمران مختلفان تماماً ، كثيرون يعتقدون أنهم ماداموا يقولون

نفس الكلمات فهم يمتلكون نفس الحياة . لكن هذا ليس صحيحاً . نفس الكلمات قد تكون أفكاراً في ذهن الواحد وحياة في قلب الآخر !!

قال الرب «أنا هو الحياة» إذاً فالحياة ليست «شيئاً» خارج المسيح بل هي المسيح نفسه . لو كانت الحياة «شيئاً» نستطيع إن نعمله لكانت ميتة. الحياة التى يتكلم عنها مسيحيون كثيرون ليست سوى «شىء» يصنعونه بأنفسهم ولذلك هى شىء ميت !!

نحن نحتاج إلى رحمة الله في هذا المجال!! إننا نفهم ماهية الفكر والمشاعر والأعمال لكن ينقصنا إدراك واضح لماهية الحياة . ليتنا نسأل الرب أن يعطينا إعلاناً عن ماهية الحياة. وعندما نحصل على هذا الإعلان سنتلامس مع الرب بصورة أعمق .

المسيح هو القيامة

ما هى حياة القيامة ؟ هى الحياة التى تجتاز الموت

ومع ذلك تبقى حية. كل ما يحيا بعد الموت يمتلك حياة القيامة. لقد أتى الموت إلى الإنسان بعدما أكل من شجرة معرفة الخير والشر . ومنذ ذلك الوقت فصاعداً لم يعد الإنسان قادراً على هزيمة الموت . كل الذين دخلوا القبر لم يعودوا أبداً . أعداد لا تُحصى من البشر بمجرد ذهابهم إلى الموت لا يعودون . لكن من بين كل هؤلاء كان هناك شخص واحد ذهب إلى الموت ثم عاد منه حياً. هذا الشخص الواحد هو ربنا يسوع المسيح «فلمّا رأيته سقطت عند رجليه كميت . فوضع يده عليّ قائلاً: لا تخف . أنا هو الأول والآخر . الحى وكنت ميتاً وهاأنا حي إلى أبد الآبدين . آمين . ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ١: ١٧-١٨)

الرب يسوع المسيح هو نفسه القيامة. نوعية الحياة التي فيه هي حياة القيامة . الحياة التي تمر من خلال الموت لكن الموت لا يستطيع أن يمسكها (أع ٢ : ٢٤)

يســتخدم الكتاب كلمة «يُمسك» لكى يصف سلطان الموت. الناس تدخل إلى الموت ولا تقدر أن تخرج مرة أخرى لأن الموت يمسـك بقـوة كل الداخلين إليه. لكن الموت لم يقدر أن يمسـك بحياة المسـيح. لذلك فالحيـاة التي في المسيح هى حياة القيامة. الحياة التي تجتاز الموت ثم تحيا إلى الأبد. الحياة التى نزلت إلى أقسـام الأرض السـفلى ثـم صعدت إلى قمة المجد . الحياة التى تعيش وهي تحمل آثار الموت!!

بعدمـا قـام الـرب يسـوع من بـين الأمـوات أظهر لتلاميذه آثار المسـامير في يديـه ورجليه وأثر الحربة في جنبـه . وطلب منهـم أن يلمسـوها ويمتحنوها بدقة . لأن هـذه الآثار هي دلائل حياة القيامــة. وما أراد الرب أن يؤكده لتلاميذه ليـس أنه جُرح ومات بل أنه جُرح ومات وقـام ثانية. وأنه يحمـل في جسـده آثار الموت ومع ذلك هو حى! هذه هى حياة القيامة .

حيـاة القيامة

ينبغـى أن تكـون نوعية الحيـاة التي فينـا هي حياة القيامة. لكن للأسـف مازال في حياتنا أشياء عديدة لا تحمـل آثار الموت ولذلـك لا يمكن أن نعتبرهـا حية بحياة القيامة. أنهـا حية بقوى الطبيعة وليس بقوة القيامة. هذا أخ سـعيد لأنه يمتلك القدرة والمهارة والبلاغة. لكن للأسـف هـذه الإمكانيات لا تحمل آثار المـوت ولذلك هى حيـة بقوى الحياة الطبيعية وليـس بقوى حياة القيامة. وبالتالـى هذه الإمكانيات عاجزة عن الشـهادة ليسـوع لأنها غير عاملة بحياته. لأن حياته التي يعطيها لنا هى دائماً حياة القيامة .

وهذا أخ آخر يمتلك موهبة عظيمة وقدرات هائلة. إنه يبـدو «حياً» ومتحركاً جداً. ومع ذلـك لا تلاحظ آثار الموت على حياته بل تستطيع أن تلاحظ بوضوح قدراً هائلاً من الثقة بالنفس والاعتداد بالذات. يثق أنه لا يخطئ أبداً وهو

متأكد من النجاح في أي شيء يفعله. إن الحياة النابضة بداخله هي حياة الذات وليست حياة القيامة، وبالتالى لا نندهش إن وجدنا هذه الموهبة العظيمة وتلك القدرات الهائلة عاجزة تماماً عن خدمة الله أو تمجيد المسيح .

نحن لا نقول إن الشخص الذي يمتلك حياة القيامة لا يمتلك مواهب عظيمة أو قدرات هائلة، بل نقول إنه يحمل آثار الموت على مواهبه وقدراته، ولا تستطيع أن تلاحظ عليه ثقته في ذاته بل كل ثقته في الرب. إنه يستطيع أن يعمل أشياء كثيرة لكنه لا يعملها إلا إذا تحركت حياة الرب بداخله لعمل هذه الأشياء . لقد فقد القدرة على التحرك الذاتي وقواه الخاصة باتت في نظره ضعفاً. هذا ما نعنيه بحياة القيامة.

كتب الرسول بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس «وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة» (١كو ٢: ٣) هذه الكلمات لا يقولها إلا شخص

يعرف الله بالحق!! كم هو محزن أن كثيرين من المؤمنين أقوياء وذوو ثقة بأنفسهم!! لكننا نرى هنا إنساناً عرف نفسه على حقيقتها فامتلأ ضعفاً وخوفاً ورعدة كثيرة، وهذه هي آثار الموت على حياته .

الصليب هو الطريق للقيامة

لا يمكننا الفصل بين الصليب والقيامة في حياتنا، نحن نحتاج إلى كليهما : الصليب قوة « إنهاء » أما القيامة فهى قوة «إحياء»!! الصليب يضع نهاية لكل الأشياء النابعة من الذات . بمجرد أن نجتاز الصليب لا تقوم ثانية لأن الصليب أنهاها . أما الأشياء النابعة من الله فهى تجتاز الصليب وتظل حية . تحمل آثار الموت ومع ذلك تبقى حية، هذه هي قوة القيامة .

القيامة تستلزم المرور من خلال الموت . والمرور من خلال الموت دائماً ينهى شيئاً ما . إذا أردنا أن نعرف القيامة كقوة إحياء ينبغي أن نعرف الصليب كقوة إنهاء، إذا

اجتزنا من خلال الصليب فسوف نتجرد من أشياء كثيرة، سنصبح أشخاصاً مختلفين تماماً لأن الصليب قد أنهى أشياء كثيرة فينا، وما يبقى حياً بعد الصليب فهو وحده المتمتع بحياة القيامة .

لنأخذ لهذا مثالاً : إذا أخذت قطعة من الخشب وقطّعتها إلى أجزاء ودفنتها في الأرض ، ماذا سيحدث لها ؟ بعد عدة أيام ستتحلل بالكامل وتصير غير نافعة لأى شيء، لكن لو قطعت غصناً من شجرة وزرعته في الأرض ستجده بعد أيام يُزهر ويُخرج براعم جديدة، كلاهما اندفن في الأرض لكن إحداهما تحللت بينما الأخرى أزهرت!! هكذا الأمر معنا عندما نجتاز الصليب: كل ما هو ميت سوف يتحلل وينتهي بالصليب وكل ما فيه حياة القيامة سيقوم بعد مروره في الصليب.

لذلك نقول إن قيامة الرب يسوع مؤسسة على نوعية حياته، وبسبب الحياة التى لا تموت الموجودة في شخصه

لم يكن ممكناً أن يُمسك من الموت، بهذه الحياة الأبدية التي فيه استهان بالموت وهو يدخله .

اجتياز الصليب

إننا نحمل أشياء كثيرة معنا ونحن داخلون إلى الصليب ولكننا نخرج ونحن مجرَّدون منها، لا توجد أية فرصة للخروج بهذه الأشياء مرة أخرى ، فقط الأشياء التي من الله فينا هي التي ستقوم بعد الصليب، ينبغى أن نسقط أمام الصليب ، فالصليب هو سقوط عظيم لذواتنا لأنه ينهي أشياء كثيرة فيها !!

قد يسأل بعض الإخوة : «كيف أعرف أني قد اجتزت هذا الموت؟ كيف أعرف أن الصليب قد عمل عمله في داخلي؟» والإجابة ببساطة هى: لو عمل الصليب في حياتك فلابد أنك فقدت أشياء كثيرة، لكن لو بقيت كما أنت منذ أن حصلت على الخلاص فهذا يعنى أن الصليب لم يعمل في داخلك حتى الآن !!

بينما يعمل الصليب في حياتك ستختبر سقوط وانهيار أشياء كثيرة في داخلك . كما ستختبر أن أشياء أخرى سوف تتنقى وتفقد الكثير من حجمها السابق، وبالتالى ستشعر أن أشياء كثيرة مما كنت قادراً على فعلها من قبل أصبحتَ الآن غير قادر على فعلها، وأشياء أخرى كنت متأكداً منها إلى حد اليقين ستبدأ تتشكك فيها . وما كنت تمتلك رغبة عظيمة فيه قبلاً هاأنت الآن متردد بشأنه، كل هذه علامات على عمل الصليب داخلك.

إذا كانت هناك قيامة في حياتك فلابد أنك تركت خلفك أشياء كثيرة في القبر!! لأن هذه الأشياء لا يمكنها أبداً اجتياز الموت . كل ما هو من آدم لا يستطيع أن يحيا بعد دخوله في الموت . الحياة التي من الرب هي فقط القادرة أن تمر من خلال الموت وتخرج ثانية . هذه هي حياة القيامة .

أحياناً بعض الأشياء التى فُقدت بالموت تُستعاد مرة أخرى في القيامة، مثل الغصن الذي يُقطع من الشجرة ويبدو أنه مات لكن عندما نزرعه في الأرض يعود ينمو مرة أخرى. عندما نقول إننا سنجتاز الموت ونقوم ونحن نحمل آثار الموت لا نقصد أننا سنصير غير قادرين على الكلام والتصرف، كلا ، بل المقصود هو أننا لن نكون بنفس القدر من الثقة والاتكال على ذواتنا في أقوالنا وأعمالنا .

عندما يتلامس الله مع شخص ويتعامل معه بالصليب يصبح هذا الشخص مدركاً لضعفه و قصوره، ولذلك لن يجرؤ فيما بعد على القول «أنا أستطيع» أو «أنا سأفعل». قد يعطيه الله أن يظل يعمل نفس الأعمال لكنه الآن يعملها وهو يحمل مخافة الله في داخله!! قد يستمر في السير لكنه الآن يسير خلف الله، تماماً مثل إبراهيم الذى كان يسير خطوة خطوة خلف الله !! يمكنك أن تلاحظ آثار الصليب واضحة على حياته

، لقــد أختــرق الله كيانه بالصليب حتــى أن ذاته لم تعد صحيحــة كما كانت . أصبحت تحمل آثار الموت . هذه هي حياة القيامة .

حياة القيامة ضرورية للشركة مع الله

لا توجد شركة بين الله والإنسان إلا من خلال حياة القيامة!! والقيامة تشمل ضمنياً اجتياز موت الصليب. لا يمكــن لأى شــيء فينا أن يدخل في شــركة مع الله إلا إذا اجتــاز المــوت و القيامة . كل ما أخذنــاه من الطبيعة ينبغــي أن يدخل إلى الموت قبل أن يخرج إلى شــركة مع الله. طبيعــة حيــاة الله هي حياة أبديــة لذلك لا تدخل فــي شــركة إلا مع حياة مُقامة . لا يمكــن أن يدخل الله فــي شــركة حقيقيــة مــع شــخص لا يحمــل الحيــاة المُقامــة. لا يمكن أن يتحد الله مع شــخص مازال يحتاج أن يجتــاز موت الصليب ويقــوم . وبعد أن نجتاز الموت ننال حياة القيامة وهذه الحياة وحدها تســتطيع أن تدخل في

شركة مع الله. كل ما يتحد بالله في أعماقنا ينبغي أن يكون مُقاماً من الموت .

حياة القيامة ضرورية لخدمة الله

في المجــال الروحي نواجه مشــكلة صعبة ألا وهي أن الخدام يخدمون الله عادةً بإمكانيات طبيعية وليس بإمكانيــات مُقامة !! كثيرون لديهم الحماس والمشــاعر الحــارة لكن قليلين هم الذين يمتلكون قوة القيامة. القوة التــى اجتــازت المــوت وقامت. قــد يعمل الخدام بنشــاط واجتهــاد لكن هذا النشــاط من النــوع الطبيعي لأنهم رفضــوا المرور من خلال الموت. ونحن لا نســتطيع أن ندّعي أننا نحيا حياة القيامة إذا كنا نعيش أمام الله بقوة هذه الإمكانيات الطبيعية .

حياة القيامة ضرورية لبناء الكنيسة

إذا سألنا : ما هى الكنيسة ؟ نجد الإجابة : **الكنيسة**

هي جسد المسيح المقام، أي أن كل ما ليس من القيامة ليس جزءاً من الكنيسة!! فالكنيسة ليست المكان الذي تأتي إليه بشيء من مهارتك وآتى أنا ببعض لباقتي ونصنع سوياً خدمة روحية، كلا، الكنيسة لا تُبنى بمواهب المؤمنين الطبيعية، الكنيسة تطرد كل ما هو طبيعي خارجاً وتقبل فقط المُقام ، إذا تدّخلت الإمكانيات الطبيعية في بناء الكنيسة فالكنيسة عندئذ تفقد صفتها كجسد الرب المُقام، لا يمكن أن يكون في الكنيسة عنصر واحد غير مُقام.

كثير من المؤمنين يتساءلون عن كيفية تحقيق الاتحاد بين المؤمنين، كيف يعود المؤمنون مرة أخرى جسداً واحداً ونفساً واحدة ؟ والإجابة هي أيضاً في حياة القيامة ، ينبغي أن نعترف أن كل الطرق الطبيعية لا يمكن أن تحقق وحدة بين المؤمنين، أبناء الله يحتاجون أن يجتازوا في الموت ويتركوا الصليب يتعامل مع الطبيعي فيهم إذا أرادوا أن يصلوا إلى الوحدة ، الحياة الطبيعية فيهم

تتنافر وتتباعد ولا يمكنها أن تصنع اتحاداً حقيقياً، لكن إذا نال الجميع حياة القيامة فسيشعرون أن الحياة التي تسري فيهم هى حياة واحدة، حياة تربطهم معاً وتربطهم بالله، لا توجد وسيلة مجدية للاتحاد إلا اختبار الجلجثة!!

لا يمكن لمواهبنا الطبيعية أن تبنى الكنيسة، وحكمة الإنسان ودهاؤه لا يمكنهما أن يحلا مشاكل الكنيسة، الكنيسة لا تتبع طرق الجسد أو الطبيعة لأن كليهما سيدمرها!! بالتأكيد الكنيسة تحتاج مواهبك ومواهبى لكن بعد أن يوضع عليها ختم الصليب!! الكنيسة تُبنى بمواهبنا بعد اجتيازها الموت والقيامة، إن الرب يسوع نفسه هو القيامة و كنيسته هي استعلان حياة القيامة.

حياة القيامة تحمل آثار الصليب

إذا أردنا اختبار القيامة ينبغي أن نطلب من الله أن يجيزنا في اختبار الموت ، لا قيمة للتعاليم الموجودة في

أذهاننا إذا لم نقبل عمل الصليب في حياتنا ، إذا لم يضرب الرب حُق فخذنا فسنبقى كما نحن !! أحياناً نعثر ونسقط ونتألم وقد ننكسر أمام الرب لأيام أو لشهور لكن سرعان ما ننهض مرة أخرى ، لكن إذا ضرب الرب حُق فخذنا فلن ننكسر لأيام أو لشهور بل سنحتفظ بهذا الكسر مدى الحياة . سنظل نخمع أمام الله إلى الأبد وختم الصليب سيظل دائماً علينا .

بعد عدة سنوات من الرؤيا التي شاهدها بولس على أبواب دمشق شهد قائلاً «... لم أكن معانداً للرؤيا السماوية » (أع ٢٦: ١٩) لقد انكسرت طبيعته المعاندة منذ ذلك اليوم فصاعداً، **لو تراءف الرب علينا وضربنا بعنف فذواتنا لن تستطيع النهوض مرة أخرى !!** سنظل نحمل آثار هذه الجروح إلى الأبد ، وكما بقيت آثار المسامير في يديّ الرب وفي رجليه هكذا ينبغى أن تبقى آثار الصليب في حياة كل من عرف الرب بصفة

قيامته، وبعد اختبارنا لهذه الجروح لن نجرؤ أبداً أن نعتمد على أنفسنا و قوانا ، بمجرد أن نُضرب من الرب لن ننهض ثانية، ليت آثار الصليب تزداد وضوحاً في حياتنا كل يوم !!

عندما كانت الذبيحة توضع على المذبح وتُحرق لم يكن ممكناً أن تقوم ثانية ، هكذا نحن إذا اجتزنا في الصليب لن نقوم مرة أخري كما كنا ، سندرك أننا ضعفاء ومزدرى وغير موجود ، وستظل آثار الصليب هذه على حياتنا لتشهد أننا اجتزنا الموت واختبرنا القيامة ، **وكلما عرفنا الصليب أكثر عرفنا القيامة أكثر**، وكل ما يبقى بعد الصليب هو فقط المتمتع بالقيامة !!

آه !! كم هي كثيرة الأشياء التي لن تقوم أبداً بل ستنتهي بمجرد أن نجتاز الصليب !! فقط ما يستطيع أن يحتمل الصليب هو الذي يمتلك قيمة روحية حقيقية ، أي شيء يدخل إلى القبر ويبقى هناك فهو شيء ميت،

لكــن ما يخرج مــن الجانب الآخــر للقبــر ـ وإن حَمَل آثار الصليب ـ فهو المُقام .

دعونا نصلى لكى نعرف المسيح بصفته قيامتنا كما عرفنــاه بصفته حياتنا ، ليت الرب يخلصنا من الأشــياء الطبيعيــة العديدة التى في نفوســنا ، ويعطينا أن تزداد حياتــه فينا وتنقص حياتنا فينا !! كفانا ما عشــناه دون أن نعرف عمل الصليب في حياتنا ، دعونا نطلب من الرب أن يرحمنا حتى يبدأ الطبيعي يتناقص فينا ويزداد المُقام. ليت الحياة و القيامة تصبحان حقائق حية وليست مجرد نظريات في حياتنا. ليت الرب يشرق بنور قيامته على كل أعمالنــا و مجهوداتنا لكي نرى أن كل ما هو طبيعي غير نافع أو غير مقبول. آمــين.

الفصل الثالث

المسيــح هــو خبز الحياة ونور الحياة

« فقال لهم يســوع: أنا هو خبــز الحياة، مَنْ يقبــل إلــىّ فلا يجــوع ومَــنْ يؤمــن بى فلا يعطش أبداً » (يو ٦: ٣٥).

«ثم كلمهم يســوع أيضاً قائــلاً: أنا هو نور العالم، مَنْ يتبعنى فلا يمشى في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢).

لقد قلنا إن كل البركات الروحية هي في المسيح. الله أعطانا شــخص المســيح ليكون هو كل شىء بالنسبة لنا. يقول الرسول: «المســيح يسوع الذي صار لنا حكمة مــن الله وبراً وقداســة وفــداءً» (١كو١: ٣٠) هــذه نقطة جوهريــة للغاية لفهــم الحياة الروحية. هــل نحن نختبر

أشياء مجرَّدة أم نختبر شخص المسيح نفسه؟ هل برّنا هو أعمال مجرَّدة أم هو الرب يسوع نفسه؟ هل قداستنا مجرد سلوكيات أم هي شخص المسيح ذاته؟ هل فداؤنا عقيدة مجرّدة أم هو المسيح شخصياً ؟

كثيراً ما نتكلم عن «الطريق» إلا إن هذا الطريق قد لا يكون هو المسيح نفسه ، وعلى نفس المنوال يمكننا الحديث عن «الحق» و «الحياة» دون أن يكون حديثنا بالضرورة عن شخص المسيح. أى أنه يمكننا امتلاك أشياء كثيرة بعيداً عن شخص المسيح. وهذه مشكلة روحية مخيفة في وسط أبناء الله. قد نعترف بأفواهنا بأن المسيح هو مركز كل الأشياء ومع ذلك نمتلك في حياتنا أشياء كثيرة بعيداً عن المسيح ، ونعتقد أن هذه الأشياء لها قيمة روحية وتساعدنا في حياة الإيمان. إننا نحتاج إلى تجديد أذهاننا لكي نفهم أن الله لا يريدنا أن نمتلك أية «أشياء» روحية بعيداً عن شخص المسيح .

في المسيح تجتمع كل البركات الروحية التى أعطانا إياها الله. الله لم يعطنا براً بل المسيح نفسه هو برنا. الله لم يمنحنا القوة لنصير قديسين بل منحنا المسيح ليكون قداستنا ، الله لم يمنحنا فداءً بل المسيح هو فداؤنا ، الله لم يفتح أمامنا طريقاً لنسير فيه بل أعطانا المسيح نفسه طريقاً ، الله لم يقدم لنا بعض الحقائق لكي نؤمن بها بل أعطانا المسيح ليكون هو الحق في حياتنا ، الله لم يمنحنا شيئاً اسمه الحياة بل المسيح نفسه هو حياتنا .

إخوتي وأخواتي ، أثناء ارتحالنا في طريق الله سنكتشف أكثر فأكثر أن كل نِعم الله مجتمعة في نعمة واحدة وكل عطايا الله إنما هي عطية واحدة. هذه النعمة والعطية ما هي إلا شخص المسيح نفسه. شكراً لله. يوماً بعد يوم سنفهم أن المسيح يحتوي في شخصه كل البركات الروحية .

في بدء الإيمان كنا نفتكر في الرب باعتباره مخلِّصنا، أما الآن فإننا نفهم أن الرب ليس فقط مخلصنا بل هو أيضاً «خلاصنا»، هل مازالت الكلمة غريبة على مسامعنا؟ لكنها الحقيقة التي نكتشفها كل يوم : **أن المسيح هو كل عطايا الله لنا !!**

لو أخطأنا التمييز بين عطايا الرب يسوع وبين شخصه، بين العطية والمُعطى، سنعانى معاناة كبيرة في حياتنا الروحية !! سنسعى وراء بركات وليس وراء الرب نفسه، و هذا الخطأ سيحرمنا من التلامس مع مصدر الحياة ذاته . أما إذا كنا ننظر إلى المسيح باعتباره كل البركات لنا فلابد أننا نشتاق أن نرى جوانب جديدة في شخصه في كل يوم . في (يو ٦ : ٣٥ و ٨ :١٢) يذكر لنا الكتاب جوانب أخرى من شخص المسيح ، حيث يقول الرب عن نفسه أنه «خبز الحياة» و «نور الحياة»، دعونا نتأمل كلاً منهما بالترتيب :

المسيح خبز الحياة

قال الرب للناس الذين طلبوه في كفرناحوم وكانوا يتوقعون أن يطعمهم بالخبز : «أنا هو خبز الحياة . أنه ليس فقط «يعطى» خبز الحياة بل هو نفسه هذا الخبز !! إن «العطية» و «المُعطى» كيان واحد لا يتجزأ !! شكراً لله، إن المسيح هو «عطية» الله لنا تماماً كما أنه هو الرب «المُعطى» !!

ما هو معنى الخبز في الكتاب المقدس؟ إنه يعني الشبع والاكتفاء لأن الكتاب يستخدم كلمة «الجوع» للتعبير عن عدم الشبع الروحي للإنسان . وإذا كان الجوع الجسدى يجد علاجه في الخبز المادي فهكذا الجوع الروحي يحتاج لخبز روحى حتى يشعر المؤمن بالشبع والاكتفاء .

قدرة أبناء الله على إكمال الجهاد الموضوع أمامهم تتوقف على مدى شبعهم الروحى. لو كنا نشعر بالشبع اليوم سيكون لدينا القوة لأجل اليوم . لكن

لو شعرنا بالفراغ الداخلي مثل الإطار الذي تسرب منه الهواء سنكون غير قادرين على سحب أنفسنا طوال اليوم . لا نستطيع أن نقول أننا لا نمتلك «حياة» لكن بالتأكيد نحن لا نمتلك «قوة » للسعى. إن الشبع» هو ذلك الشعور الذي يعطينا القوة لمواصلة الطريق الموضوع أمامنا حتى نهايته .

دعونا نرى ما يقصده الرب بقوله «أنا هو خبز الحياة»: هو يعنى أنه ليس فقط مُعطي الحياة بل أيضاً حافظ استمرارها !! كثير من المؤمنين يعتقدون أن الخبز الروحي هو ساعة يقضونها في الصلاة أو قراءة الكتاب. إنهم للأسف لا يدركون أن خبزهم الروحي ينبغي أن يكون هو الرب يسوع نفسه. إننا لا نقصد بالطبع أن نقول أن الصلاة وقراءة الكتاب بلا فائدة لكن ينبغي أن نتذكر أن الرب قال أنه هو خبز الحياة مما يعني أن الخبز ليس أي شيء آخر سوى الرب يسوع نفسه .

كثيراً ما نرى أبناء اللّٰه لا يشعرون بالشبع في حياتهم الروحية والسبب هو أنهم لا يعرفون المسيح بصفته خبز الحياة . تراهم دائماً شاعرين بالخواء والضجر، ساخطين على كل شيء . ليسوا سعداء في أي وضع . من الفجر وحتى الليل قلقين ومضطربين . إنه الإحساس بالجوع الروحى.

نحن بالطبع لا نريد أن يكون المؤمنون متكبِّرين مكتفين بذواتهم وراضين عن أنفسهم. إن الكبرياء المصاحب للاكتفاء بالذات شيء والامتلاء المصاحب للشبع بالرب شيء مختلف تماماً !! بعض المؤمنين الأفاضل عرفوا سر الشبع في الرب لذلك تراهم يمكثون طويلاً في محضر الرب وهم شاعرون بالاكتفاء والامتلاء وهذا الشبع هو قوتهم . ومع ذلك لا تبدو عليهم أية علامة للكبرياء أو الاعتداد بالذات. بل على العكس تجدهم دائماً أمام اللّٰه في خوف ورعدة مقدسة .

كيف إذاً نستطيع أن نأكل حتى الشبع ؟ ينبغى أولاً أن ندرك أن كل الشبع هو في شخص المسيح. كل الشبع موجود في الحياة وعندما نتلامس مع الحياة الموجودة في المسيح ننال حالاً الشبع. وفي المقابل عندما نخطئ ضد الحياة نشعر فوراً بالجوع والفراغ. والآن دعونا نشرح موضوع الشبع ببعض الأمثلة الواقعية :

المثل الأول

أحياناً نسمع أحد الخدام يقول : «لقد عملت كثيراً الفترة الماضية. كنت مشغولاً باستمرار لمدة تزيد عن السنة. ذهبت هنا وهناك ، أعطيت كثيراً حتى أني أشعر الآن بالخواء والجوع الروحي ، أشتاق أن أجد مكاناً أشبع فيه روحياً وأنتعش» !!

إذا قرأنا (يو ٤) سنجد تعارضاً في أقوال هذا الخادم. عندما تعب الرب يسوع من السفر جلس على بئر يعقوب أما تلاميذه فذهبوا ليبتاعوا طعاماً من المدينة. مما يؤكد

أن الرب كان جائعاً، وهناك تقابل مع المرأة السامرية وكانت مشيئة الله أن يتكلم إليها ويعطيها الخلاص ، ولقد فعل مشيئة الله وتمم ما أراده الآب . وعندما رجع التلاميذ بالطعام وطلبوا إليه أن يأكل قال لهم : «لى طعام لآكل لستم تعرفونه» واعتقدوا حينئذ أن أحداً أحضر له طعاماً آخر ، لكنه أوضح لهم قائلاً : «طعامي أن أعمل مشيئة الذى أرسلني وأتمم عمله».

من هذه الواقعة في حياة الرب نستطيع أن نستنتج أن عمل مشيئة الله لابد أن يجعلنا نشبع ونمتلئ. بعد أن نتمم مشيئة إلهنا لابد أن نشعر بالشبع وليس بالجوع. في مجال العمل الروحي كلما عملنا أكثر شعرنا بالامتلاء أكثر !! أما لو شعرنا بالخواء والجوع بعد العمل فلابد أن هناك خطأ ما !! إذا شعرت بعد إنجاز عمل ما أنك فارغ مثل إطار السيارة الذي تسرب منه الهواء فينبغي أن تعرف أن هناك خطأ ما في هذا العمل !! لأننا

إذا سرنا بحسب مشيئة الله وليس بحسب مشيئتنا نحن فينبغي ألا نشعر بالضعف بل بالقوة .

المشكلة أننا كثيراً ما نقوم بأعمال ليس لأننا جاهزون لها أمام الله لكن لأن الاحتياج الموجود كبير جداً والضغط الخارجي قوى للغاية . وفي مثل هذه الأعمال نشعر باستهلاك لطاقتنا ونصير منهكين وبلا قوة . والسبب أن هناك خطأ ما بيننا وبين الرب . كل عمل خارج مشيئة الرب يجعلنا نشعر بالجوع أكثر. ينبغى إذاً أن نعكف على فعل مشيئة الله فقط إذا أردنا أن نشعر بالشبع .

ينبغى أن ندرك أن شبعنا وراحتنا ليسا في الانعزال في مكان بعيد أو الاستماع إلى مواعظ انتعاشية. إن المسيح نفسه هو خبزنا . أما أن نعمل حتى نشعر بالخواء ثم نذهب لأحد المؤتمرات بحثاً عن إمداد فهذا خطأ !! إذا كنا نتكلم حتى نشعر بالتعب ثم نبحث عن تعاليم جديدة لكى نسترد قدرتنا على العطاء فهذا يعنى أن شبعنا ليس هو الرب نفسه .

سواء كنا نعمل أعمالاً كثيرة أو قليلة ينبغي في كل مرة نقف لنتكلم عن المسيح أن نكون مملوئين من القوة حتى أنه ليس السامعون فقط يشبعون بل نحن المتكلمين أيضاً نشبع !! إذا كان الرب نفسه هو العامل فينا فلن نشعر بالفراغ بعد العمل بل بالأحرى بالشبع. بتلامسنا مع الرب نفسه أثناء العمل سنشعر بالقوة والامتلاء .

نخطئ كثيراً عندما نظن أن التوقف عن العمل والراحة أو الاستماع للوعظ أو الاشتراك في خلوة روحية هي وسائل للشبع الروحي . الشبع والانتعاش الروحي يحدثان عندما نسمح للرب أن يعمل فينا كل ما يريد أن يعمله . وعندما يعمل الرب فينا ويتحرك من خلالنا ونتلامس مع الحياة التي في شخصه نشعر بالشبع والامتلاء .

في المجال الروحى ليس الذى عنده وقت فراغ كبير هو الذى يستطيع الأكل الروحي والشبع بل على العكس .

نحن نشبع أكثر كلما كنا مشغولين أكثر !! نحن نأكل أثناء العمل باجتهاد . لو كنا نسير في مشيئة الله فكلما كنا مشغولين أكثر صرنا نأكل أكثر . ولذلك لا يمكن أن نشعر بالجوع أو الخواء مهما كان العمل شاقاً .

أثق أن الكثير من الإخوة والأخوات يمكنهم أن يصادقوا باختبارهم على هذا الحق. لنفترض مثلاً أنك خرجت اليوم لتتكلم مع شخص آخر . قد تتكلم بانفعال كبير لكن الرب لا يتحرك بداخلك . بعدما تتكلم لمدة خمس أو عشر دقائق تبدأ تشعر بخطأ ما داخلك . وترغب حالاً في تغيير مسار الحديث لأنك تشعر أنك لم تعد قادراً على الاستمرار في الحديث بنفس الطريقة . وعندما تنتهي المقابلة تشعر بالإنهاك والخواء .

لم يكن هناك خطأ في كلامك أو موقفك . لقد بذلت كل جهدك لكي تساعد هذا الشخص . ومع ذلك تشعر بالفراغ والإجهاد كلما تكلمت أكثر . وعندما تنتهي

المقابلة تشعر بالتعب كما لو أنك ارتكبت للتو خطأ فظيعاً !!

في بعض الأحيان نختبر مشاعر النجاح عندما نشعر أننا فعلنا كل ما علينا على أكمل وجه . ورغم ذلك سرعان ما تزول هذه المشاعر السطحية ونبدأ نشعر بخواء وجوع عظيم في داخلنا . كم من مرة اختبرنا هذا الحق : عندما نتحرك بالذات ـ ورغم بعض النجاح الخارجي ـ إلا أننا في النهاية نشعر بأننا مثل البالون الفارغ !!

أخي . هل شعرت مرة كما لو أنك تتفرغ من الهواء ؟ إذا سرت بحسب أفكارك الخاصة بدلاً من اتباع الرب بكل خوف ورعدة . حتى لو كانت مقاصدك حسنة . فسوف تنتهي دائماً كشخص فارغ ليس لديه أية طاقة روحية. وكلما عملت أكثر شعرت بالجوع أكثر !! وفي مثل هذه الحالة ستشعر بالضجر إذا امتدحك الناس على عملك.

وسترفض نفسك ونجاحك !! وهذا يثبت بوضوح أن مثل هذا العمل ليس غذاء للنفس لأنه لم يعطِك أى شبع .

القديسون الذين اختبروا الشبع الروحى الحقيقى عرفوا أن هذا الشبع هو في الرب نفسه، المسيح هو خبز الحياة، هو وحده يستطيع أن يشبعك، إذا كنت أثناء الخدمة لا تستطيع التلامس مع شخص الرب نفسه فلابد أن تشعر بالجوع، لكن متى لمست شخصه فأنت تلمس الحياة الحقيقية وتتعامل مع الواقع الروحي وسيكون لسان حالك عندئذ : «شكراً لله ! لقد وجدت طعاماً لشبعى، لأن الرب هو خبز الحياة لى».

إخوتى الأحباء، ينبغى أن ندرك أن الحل لكل مشكلة روحية تواجهنا في الخدمة لا يكمن في «أشياء» مادية مثل «أين نذهب» أو «ماذا نعمل» أو «أية رسالة نقدمها» أو حتى «كم الوقت الذى نقضيه في الخلوة» !! الحل دائماً يكمن في تلامسنا الداخلى مع الرب شخصياً . فكل من يلمسه ينال منه الشبع والامتلاء .

بعض المؤمنين لا يخدمون خدمات كبيرة ظاهرة فهل ليس لهم أن يختبروا هذا الشبع؟ حاشا، إن كل مؤمن له حق الشبع لأن كل مؤمن له عمل حتى ولو كان صغيراً، قد يتكلم في عمل فردى لمدة عشر دقائق، قد لا يتكلم سوى كلمات قليلة، قد يحملون تثقلاً في أرواحهم بصمت أمام الرب، قد يرفعون صلوات بحسب إرشاد الروح، هذه كلها أعمال تبدو صغيرة لكنهم سيشعرون بالشبع إذا عملوها بالتلامس مع الرب، **فالشبع الروحى لا يتوقف على حجم العمل بل على مدى التلامس مع الرب في تنفيذه**، متى كان الرب هو الذى وضع الكلمات القليلة في أفواهنا ووضع التثقل على أرواحنا ووضع الصلاة في قلوبنا فسنشعر بالشبع في هذه الأعمال الصغيرة، ليس الخدام الكبار فقط لهم امتياز الشبع بالرب بل كل مؤمن له هذا الامتياز، في كل يوم لنا فرصة للشبع بالرب، في كل يوم نتلامس مع شخصه سنشبع به .

المثل الثانى

لنتقدم خطوة أعمق ونقول إننا غالباً ما نعمل ما نعتقد أنه الصواب بدون أن نحاول معرفة فكر الرب ، ولذلك غالباً ما نشعر بالخواء بعد إتمام هذا العمل ، فقط عندما نتبع خطوات الرب نشعر بالشبع أما إذا عملنا ما نعتقد أنه حسن وروحى دون إتباع ارشاد واضح من الرب فلن نشعر بالشبع!!

أحد الإخوة رأى أخاه يشرد بعيداً عن طريق الرب بدعوى التحضر ومجاراة العصر ، وشعر مراراً بتثقل من الرب لكى يذهب لأخيه ويواجهه بأن ما يفعله ليس تنويراً وتحضّراً بل فساداً وارتداداً. لكنه عندما ذهب ليواجهه قرر أن يكون رقيقاً ومهذباً لكى لا يجرح أخاه. اعتقاداً منه أن المؤمن لابد أن يكون رقيقاً ولطيفاً. فتكلم مع أخيه الضال بكلمات قليلة ولطيفة والابتسامة لا تفارق وجهه!! لكن بعد انتهاء المقابلة شعر فجأة كما

لو أن «قاع البرميل قد سقط»!! شعر لدهشته بفراغ وجوع روحي مفاجئ !! من وجهة النظر البشرية يبدو أنه تصرف حسناً ونجح في مهمته ، موقفه كان لطيفاً وغير جارح. لكن رغم ذلك رجع بإحساس الجوع بدل الشبع !!

استمرت هذه الحالة لعدة أشهر فأدرك أن هناك خطأ ما في علاقته بالرب. طلب من الرب أن ينيره ويُظهر له السبب. قال للرب «يا رب. مهما كان ما تريدنى أن أفعله سأفعله تماماً كما تريد أنت وليس كما أريد أنا » وسمع الرب له وأراه ما ينبغي أن يفعله ، فذهب فوراً إلى أخيه الشارد وفي هذه المرة وبَّخه بقوة وبكلمات صريحة وشديدة !!

رغم أن هذا الأخ رقيق بطبعه ويشعر بمعاناة شديدة لعدة أيام إذا أضطر أن يوجه كلمة قاسية لأى إنسان إلا أنه في هذه المرة كان يشعر براحة كبيرة وهو يوبّخ أخاه بكلمات قاسية!! بل كلما تكلم بقوة أكثر كان يلمس حضور الرب أكثر !!

في هذه المرة لم يضطر أن يعتذر للرب مثل المرة السابقة بل استطاع أن يفرح و يسبح الله، لم يشعر بجوع بعد انتهاء مهمته بل شعر بالامتلاء والشبع ، شعر كما لو أنه تناول لتوه وجبة دسمة!! نحن لا نقصد بالطبع أننا ينبغى أن نكون قساة مع إخوتنا فهذا ليس صحيحاً في كل الأحوال، في هذه الحالة الخاصة كانت هذه هي مشيئة الرب تجاه هذا الأخ ، ما نقصده هو أننا ينبغي أن نسير دائماً بحسب فكر الرب في كل موقف يصادفنا ، وإذا فعلنا مشيئة الرب سوف نشعر بالشبع.

نتعلم من الحالة السابقة أن عملك لما تظنه «حسناً» أو «مفروضاً» لن يعطيك شبعاً، قد تعتقد أنه من الحسن أن تكون لطيفاً لكن الاختبار يعلمنا أنك حتى لو كنت لطيفاً فهذا ليس سوى عمل إنسانك الخارج ولا يمكن أن يكون هذا هو طعامك، فقط عندما يتحرك الرب داخلك وتتحرك أنت وفق مشيئته ستشعر بالشبع، عندما تتلامس مع الحياة ستأكل وعندما تتلامس مع الرب ستشبع !!

المسيح هو نور الحياة

الرب لا يقول إنه فقط « خبز الحياة » بل أيضاً أنه «نور الحياة» ، الخبز لأجل الشبع والنور لأجل الرؤية، الشبع يعطى الطاقة والقوة بينما الرؤية تعطى إمكانية السير في الاتجاه الصحيح، ولقد رأينا كيف أن المسيح هو خبز الحياة والآن دعونا نرى كيف أنه أيضاً نور الحياة .

أول كل شيء دعونا نؤكد أن «نور الحياة» ليس هو معرفة الكتاب المقدس، كلنا يعلم أن المؤمن ينبغى أن يدرس كتابه المقدس باجتهاد، لكن إذا قرأنا الكتاب للحصول على المعرفة أو كمرجع لاهوتى فلن نحصل على شيء إلا معرفة مجردة، قد نستطيع أن نثقف أنفسنا ببعض التعاليم الكتابية الصحيحة إلا إنها ليست سوى أحرف جامدة وليست «نور الحياة» .

في وقت ولادة الرب في بيت لحم كان هناك العديد من الكهنة والكتبة و الفريسيين الذين لهم معرفة كبيرة

بالكتب المقدسة ومتمسكين بشدة بكل أقوال الناموس و الأنبياء. ورغم ذلك لم يعرفوا شخص المسيح عندما أتى في وسطهم إذ كانت معرفتهم للكتاب معرفة ذهنية ميتة وليست «نور الحياة» .

وفي يومنا هذا أُضيف العهد الجديد إلى العهد القديم ولكن مازالت نفس الإمكانية موجودة. إمكانية أن نعرف الكتب المقدسة دون أن نعرف شخص المسيح !! ونحن بالطبع لا نقصد أن دراسة الكتاب ليست مهمة. ولم يخطر على بالنا ولو لدقيقة واحدة أننا لا ينبغى أن ندرس كتابنا بكل عناية. لكن ما نقصده ببساطة هو التأكيد على أننا يمكن أن نقرأ الكلمة ونحفظها دون أن تكون لنا معرفة حية بشخص المسيح .

الكثير من المؤمنين يخطئون إذ يعتبرون معرفة الكتاب ودراسة اللاهوت نوراً. البعض يقولون إن «فلاناً» عنده «نور» رغم أن كل ما يملكه هو مجرد معرفة ذهنية لبعض التعاليم أو نوعاً من الدراسة لبعض الأسفار

أو قدراً من التفسير لجزء من الكلمة المقدسة. تماماً مثل العديد من الكتبة و الفريسيين في أيام الرب الذين رغم معرفتهم للكلمة المقدسة لم يعرفوا شخص المسيح نفسه. فالنور الحقيقى ليس مجرد معرفة بل هو «شخص». شخص المسيح نفسه !!

إخوتى وأخواتى، اختبارنا يؤكد أن ما نراه في نور الحياة يكون عادة سيئاً لدرجة أننا قد لا نستطيع التعبير عنه. قد يبدو غريباً أننا في النور نكون قادرين على الرؤية ولكننا غير قادرين على التعبير. طلب أحدهم من إحدى الأخوات أن تؤكد له ما إذا كانت قد حصلت على الخلاص أم لا. فأجابت : «نعم، لقد نلت الخلاص. أنا لا أعرف كيف أعبّر عن هذا الاختبار لكنى أعلم بالتأكيد أنى خلصت!! لو صدقتني فأنا مُخلَّصة وإن لم تصدقني سأظل مُخلَّصة رغم عدم تصديقك!!».

لقد قالت الحق. لقد نالت الخلاص لكنها لا تستطيع التعبير عنه ، لقد اختبرته ولكنها لا تستطيع أن تشرح

كيف، وهكذا عندما يرى الإنسان النور لأول مرة لا يكون عنده الكثير من التعاليم لكي يتحدث عنها، وربما يحتاج أن ينتظر سنتين أو ثلاث قبل أن يستطيع التحدث ببعض التعاليم والعقائد. إذاً فالنور ليس هو التعليم أو الكلام بل هو شخص الرب نفسه، وكل مَن يراه يرى النور .

ما هو الفرق إذاً بين رؤيتنا للنور وعدم رؤيتنا له؟ ما هو التغيير الذى سيطرأ علينا لو رأينا النور؟ الفرق جد كبير، متى رأينا النور بالحق فسوف نسقط على الأرض، النور لا ينير فقط بل يصرع !! قبل أن يستنير بولس كانت هناك صعوبة شديدة لكي تجعله يسقط ، ولكن بمجرد أن تواجه مع النور انطرح أرضاً على الفور !!

بعض الناس يرغمون أنفسهم على التواضع في الكلام والتصرف، لكن هذا النوع من التواضع يكون متعباً لهم وللمتعاملين معهم على حد سواء !! مثل أن يحمل طفل صغير قاموساً كبيراً ، قد لا يكون القاموس ثقيلاً بالنسبة للشخص الكبير لكنه بالنسبة للطفل

يستنفذ كل طاقته!! كم هو شاق للمتكبر بطبعه أن يكون متواضعاً، كم هو صعب بالنسبة لنا أن نسقط من عرش غرورنا !! لكن عندما يشرق نور الرب فإننا فوراً نسقط منطرحين، قد لا نفهم كيف لكننا نعرف يقيناً أن النور يصرعنا أرضاً !!

التعليم لا يجعل أحداً يسقط، الإنسان قد يستمع إلى عشر عظات وقد يحفظها عن ظهر قلب إلا إنه يظل كما هو، قد يستطيع الإنسان أن يقدم رسالة تستدر الدموع وتثير المشاعر ولكنه لا يستطيع أن يغيِّر الحياة ، لأنه في هذه الحالة كان التعليم «شيئاً» وليس «شخصاً»، وكذلك الدراسة كانت «شيئاً» والكلمة «شيئاً»، وكل هذه «الأشياء » ميتة ليس فيها قوة حياة وبالتالى ليس فيها نور !!

الفهم ليس نوراً

تعزَّى أحد الإخوة مرة بجزء كتابي من (رومية ٦) وأعتقد أنه الآن «رأى» المعنى الموجود في هذا الإصحاح،

ولكنه بعد أيام قليلة اشتبك مع زوجته في مشاجرة كبيرة !! يالها من حالة مؤسفة متكررة بشكل أو آخر في حياتنا جميعاً . لقد كان النص الكتابي بالنسبة له مجرد «شيء»، حروف جامدة على الورق وليس نوراً . لقد «فهم» النص الكتابى لكنه لم يبصر النور، لو كان قد رأى «نوراً» فعلاً لكان النور قد أسقطه وهزم طبيعته القديمة وما استطاع أن يتصرف بهذا الشكل مع زوجته.

النور قاسٍ على طبيعتنا القديمة، إنه يعمل فينا ما يعجز البشر عن فعله، يغيّر فينا ما لا تستطيع العقائد أن تغيره، قد نظن أنفسنا ذوي صلابة لكن بمجرد أن يشرق النور علينا تذوب صلابتنا، عندما رأى يوحنا النور سقط كميت وهكذا فعل دانيال وكل رجال الله الأتقياء ، لا أحد يستطيع أن يرى وجه الرب ولا يسقط أرضاً، لا أحد يقدر أن يواجه الرب دون أن يسقط كميت، لا شك انه من الصعب علينا أن نموت ومن الصعب أن نصير

متضعين، لكن بمجرد أن يشرق النور نسقط أمامه أمواتاً و متضعين!! النور الآتى من الرب لديه قوة «إسقاط»، إنه يُسقِط الناس عندما يشرق عليهم !!

الرب يسوع نفسه هو النور وكل مَن يلتقي به «يرى» و « يسقط» كميت، كثيرون لديهم صفات جافة وقاسية، لم يختبروا قط الانكسار أمام الرب، ولا يوجد مَن يستطيع أن يجرِّدهم من صفاتهم القاسية هذه، لا هُم ولا الآخرون!! فقط عندما يشرق عليهم نور الرب وبمجرد أن يروا النور يسقطون كالخزف المكسور!! المؤمن الذي يرى الرب لابد أن يصير منكسراً و متضعاً، لا يستطيع أحد أن يظل « قائماً » بعد التقابل مع الرب، هذا هو تأثير النور.

أحبائى، لا تخلطوا أبداً بين «النور» و بين «أشياء» أخرى كثيرة، ما نسميه نوراً قد لا يكون بالضرورة نوراً !! أشياء كثيرة نظنها نوراً وهى ليست سوى عقائد أو أفكار ليس لها تأثير على حياتنا، ولنأخذ لهذا مثلاً :

كان هناك أخ تقياً يحب الرب جداً ، وفي أحد الأيام

قابله أحد الإخوة وقال له «أنا سعيد جداً لأني اكتشفت للتو حقيقة جسد الخطية في رسالة رومية» فأجابه «كيف تكتشف هذه الحقيقة اليوم فقط في رسالة رومية ؟! كنت أظن أنك اكتشفت حقيقة جسد الخطية **في أعماقك** منذ زمن بعيد» !! للأسف هناك كثيرون يهتمون باكتشاف الحقائق بين صفحات الكتاب لكنهم لا يعيشون هذه الحقائق أبداً، وتظل التعاليم في حياتهم كلمات و «أشياء» ميتة، هذا ليس نوراً ولا حياة ولا مسيحاً!!

النور يُعمى !!

أول تأثير للنور هو أن يُعمي !! لا تظن أن النور يأتينا فقط لكي نبصر . كلا . عندما يشرق النور أمامنا يجعلنا لأول وهلة نصاب بالعمى !! إنه بالتأكيد يجعلنا نبصر لكن هذا هو التأثير التالي ، أما التأثير الأول للنور فهو أن يُعمينا ويُسقطنا قبل أن يُمكّننا من الرؤية .

كل ما لا يستطيع أن يُسقطنا ليس نوراً !! وليس نوراً الذي لا يجعلنا متضعين أمام الرب !! عندما رأى بولس النور انطرح على الأرض ولم يستطع الرؤية لمدة ثلاثة أيام، فالإنسان الذى عاش كل عمره في الظلام عندما يواجه النور لأول مرة يصاب بعمى مؤقت ولا يستطيع أن يبصر لفترة . هذا أيضاً ما يفعله نور الحياة معنا !!

ليت الرب يرحم هؤلاء الذين يشعرون بالبر الذاتي والإعجاب بأنفسهم . فهؤلاء لم يروا النور قط !! كل ما يملكونه ليس سوى تعاليم نظرية ومعرفة ذهنية، لو رأوا النور لصرخوا «آه يا رب! أنا أعمى، أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق »!! وكلما كان الإعلان أعظم كان الإحساس بالعمى أعمق، وكلما كان النور أقوى كان السقوط أكبر!! النور يكسرنا أمامه قبل أن يعطينا القدرة على الرؤية، إذا لم نكن ساقطين ومتواضعين و منسحقين أمام الرب فهذا يعنى أننا مازلنا في الظلام و لم نر النور قط !!

ليت الرب يرحمنا وبنوره يقضي على اعتدادنا بأنفسنا واتكالنا عليها حتى لا نجرؤ فيما بعد أن نثق في معرفتنا وحكمتنا. آه ! ليتنا نأتي أمامه قائلين «يا رب، أنت النور، عندما رأيتك أدركت أن كل ما رأيته في الماضى كان مجرد أشياء »!!

النور ليس أمراً نظرياً بل عملياً إلى أقصى درجة، الرب يسوع هو النور، بوجوده في وسطنا يوجد النور بيننا. مما يؤسف له أن أشياء كثيرة في حياة المؤمنين مجرد نظريات، لقد استمعوا إلى نظريات لا حصر لها وهذه المعرفة العقلية ليس لها فائدة عملية كبيرة.

أحد الإخوة كان يدرس في مدرسة تابعة لأحدى الإرساليات وهو صغير ، كان دائماً يحضر خدمات مسيحية ويسمع كثيراً عن عقيدة الخلاص ، لكنه للأسف لم يلتقِ بشخص المخلَّص وبالتالى لم ينل الخلاص !! وفي أحد الأيام التقى بشخص يعظ بالإنجيل وكان هذا

الواعظ مؤمناً حقيقياً مخلَّصاً ، وأثناء الوعظ نال هذا الأخ الخلاص وتجدّدت حياته . في كل حياته الماضية كان كل ما عنده بعض التعاليم النظرية ولذلك لم يكن قادراً أن يحصل على الخلاص أما الآن فقد تقابل مع خادم مؤمن مولود ثانية . وفي هذا المؤمن تقابل مع شيء حقيقي و تلامس مع نور فعلي . ولذلك نال الخلاص !!

أحد الإخوة شاركنا باختباره فقال « بعدما سمعت عدداً لا بأس به من الإخوة يتكلمون عن القداسة قررت أن أدرس عقيدة القداسة بنفسي . ولقد وجدت في العهد الجديد ما يزيد عن مائتي آية تتحدث عن القداسة، حفظت هذه الآيات عن ظهر قلب ورتبتها بنظام معين، ومع ذلك ظللت لا أعرف ما هي القداسة و كنت أشعر بفراغ كبير !! واستمرت هذه الحالة حتى تقابلت يوماً مع أخت عجوز كانت بالحق امرأة مقدسة . في هذا اليوم انفتحت عينيَّ لأرى ما هي القداسة !! لأنى قابلت شخصاً مقدساً

استطعت أن أرى الحقيقة ، وكم كان هذا النور قاسياً على طبيعتى القديمة !! لقد سبَّب لى ألماً شديداً ، ولكنه لم يترك لى أية فرصة للهرب ، لقد أمسك الرب بتلابيبى وأظهر لى ما هى القداسة!!».

من هذه الاختبارات نفهم أن النور حقيقى وحيٌّ ومؤثِّر. لو كنا نكرز بالعقائد فما سيقبله الناس هو مجرد عقائد. ولكن العقائد «شىء» ميت وليست هى نور الحياة. بينما لو قدمنا النور الحقيقى للناس فهو لن ينير حياتهم فقط بل سيشرق من خلالهم للآخرين أيضاً. كما كان النور حياً ومؤثراً في حياة الرب يسوع هكذا ينبغى أن يكون في حياتنا. لأن نور الحياة هو شخص الرب نفسه لذلك فهو يحيينا عندما نقبله.

إخوتى. لماذا يبدو أن حق الله يفقد سلطانه وقوته بعد فترة ويصبح ضعيفاً لدرجة أنه لا يعود يؤثر فينا؟! ليس لسبب آخر سوى أنه أصبح نظرياً أكثر من اللازم.

مجرد معرفة ذهنية. نحن نحتاج أن نميز أن الرب الحى وحده هو القادر على ولادة أبناء أحياء !!

ليت الرب يرحمنا ويعطينا النعمة حتى نرى أن كل «الأشياء» ميتة وشخصه وحده هو الحي. إن أكثر الأمور جمالاً وروحانية في المسيحية تصبح مجرد «أشياء» ميتة متى بعدت عن شخص المسيح!! ينبغى أن ندع الرب نفسه يكون بالنسبة لنا هذا الأمر أو ذاك. عندئذ سيكون هذا الأمر حياً فينا وفي الناس الذين يأخذوه منا. ليعطنا الرب أن ننطرح أمامه إلى الأرض ونبدأ نعرفه بشكل مختلف تماماً. آمين.

الفصل الرابع

المسيح هو
كل ما عند الله لنا

«وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١: ٢٩)

«فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة، مَن يقبل إليّ فلا يجوع ومَن يؤمن بى فلا يعطش أبداً» (يو٦: ٣٥)

«فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» (يو٦: ٥٣)

«ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً : أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشى في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو٨: ١٢)

« فقلت لكم : إنكم تموتون في خطاياكم

لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم» (يو٨: ٢٤)

«فقال لهم يسوع : متى رفعتم إبن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو، ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى» (يو٨: ٢٨)

« فقال لها يسوع : أنا هو القيامة والحياة، مَن آمن بى ولو مات فسيحيا» (يو١١: ٢٥)

«قال له يسوع : أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٦)

«ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء» (١كو١: ٣٠)

«متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣: ٤)

« بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا » (١تي١: ١)

«الرب نوري وخلاصي ممن أخاف ؟ الرب حصن حياتى ممن أرتعب ؟» (مز٢٧: ١)

المسيح هو الهدف والوسيلة

هدف الله هو المسـيح ، وأيضاً وسـيلة الله لتحقيق الهدف هي المسـيح، أى أن الله بواسـطة المسيح يصل بنا إلى المسيح!! ونسـتطيع أن نتعلَّم عن هدف الله من رسـالتى أفسس وكولوسى، دعونا نحاول أن نفهم هدف الله بنظرة سريعة لهاتين الرسالتين، وأول ما نلاحظه أن هناك فرقاً بينهما وهو أنه في رسـالة أفسس نرى كيف رتَّب الله بحسب قصده الأزلى أنه في ملء الزمـان يجمع كل الأشـياء في شخص المسيح ، كل الأشياء سواء تلك التى في السماء أو على الأرض ، هذا هو هدف الله الأزلى، بينما من الناحية الأخرى تُظهر رسـالة كولوسـى كيف أن الله يريد أن يجعل المسـيح هو الكل وفي الكل، وهذه هى وسـيلة الله لتحقيق هدفـه الأزلى ، لكى تجتمع كل الأشـياء في المسـيح لابد أن يكون المسيح هو كل شىء وفي كل شـىء ، فقط عندما يكون المسيح هو كل شىء

وفي كل شـىء سـتجتمع في شـخصه كل الأشياء ما في السـماء ومـا على الأرض، لو المسـيح في الكل فمن الطبيعى أن يكون الكل فيه ، لو شخصه هو كل الأشياء فماذا تكون كل الأشـياء إلا شـخصه؟! وغني عن البيان أن «كل الأشـياء» التى نقصدها هنا ليسـت أشياء هذا العالم المادى بل أشياء العالم الروحى .

لنتذكـر دائماً يـا إخوتى أن الله يرى المسـيح في كل الأشياء، الله لا يرى أشياء عديدة ومواضيع شتى بل فقط المسيح، الأشياء والمواضيع التي عادة ما تستأسر أفكارنا ليسـت موجـودة أمام الله، قـد نظن أن هنـاك مواضيع كثيرة في حياتنـا الروحية تحتاج منا للتحرك هنا وهناك لكن بحسـب نظـرة الله لا يوجد ما يسـتحق الاهتمام والانشـغال سوى شخص المسيح، المسيح هو الكل وفي الـكل، ولابد أن يأتي يوم في المسـتقبل يكمل فيه هدف الله الأزلى هذا.

أرجو أن ينير الله أذهانكم لتدركوا شيئاً واحداً وهو أن المسيح سوف يجمع كل الأشياء في شخصه. وهذا الهدف الإلهي بدأ بالفعل الآن من خلال الكنيسة وسيكمل في الأبدية. هدف الله لن يصير حقيقياً فقط في المستقبل بل لابد أن يكون حقيقياً الآن في حياة المؤمنين.

ليت الله يفتح عيوننا فنرى أنه في الكنيسة ينبغي أن يكون المسيح هو كل شيء ، هو كل الأمور والمواضيع الروحية ، لابد أن الكنيسة تبدأ تفهم هذا وتعيشه في الزمن الحاضر قبل أن يكمل في الأبدية ، لو أن الكنيسة مازالت ترى أشياء ومواضيع كثيرة فهذا يعني أنها لم ترَ بعد المسيح كما ينبغي !!

إنجيل يوحنا يعلن المسيح باعتباره كل شيء لدى الله

من المدهش أن نرى يوحنا الرسول يستخدم في إنجيله عدة كلمات لا نجدها في الأناجيل الأخرى ، ومن المعروف

أن إنجيل يوحنا هو أعمق الأناجيل وآخرها في زمن كتابته ، لقد كُتب بعد كل العهد الجديد ، الأناجيل الأخرى وبعض الرسائل كانت قد تجمعت بالفعل عندما بدأ يوحنا يكتب إنجيله ، ولقد أظهر لنا فيه ما هو تقدير الله للمسيح وكيف أننا ينبغي أن نعرف المسيح كما يعرفه الله.

في إنجيل يوحنا نفهم أن ما يطلبه الله ليس مجرد شيء اسمه «حَمَل الله» ليرفع خطية العالم. ولا ما يعطيه هو مجرد شيء اسمه «خبز الحياة» ليهب لنا الحياة الأبدية ، وندرك أن الله لم يعطنا «أشياء» تُسمَّى الطريق والحق والحياة ولا المسيح استخدم قوته وسلطانه ليعطي «شيئاً» اسمه الحياة لميت أو «شيئاً» اسمه البصر لأعمى. كل هذا نراه في الأناجيل الأخرى أما في إنجيل يوحنا فنرى حقيقة واحدة وهي أن شخص المسيح هو نفسه كل هذه الأشياء مجتمعة !!

في إنجيل يوحنا يقول المسيح إنه هو بشخصه

نور العالم. ولا يقول إنه يعطى للناس نوراً بل أنه هو النور. المسيح يقول إنه هو خبز الحياة وليس أنه سوف يعطينا خبز الحياة. هو يقول إنه نفسه الطريق وليس أنه سيقودنا لنمشى في الطريق ؛ يقول إنه بذاته الحق وليس أنه سيعلّمنا الحق؛ يؤكد أنه هو الحياة الحقيقية وليس مجرد أنه سيعطينا الحياة. عندما مات لعازر لم يَقُل الرب لمريم ومرثا أنه قادر أن يقيم أخاهما بل أنه هو نفسه القيامة .

من فضلكم لاحظوا أن خبز الحياة هو «شيء». وبالمثل النور والطريق والحق والحياة والقيامة والذبيحة كلها مجرد أشياء . لكن المسيحية ليس فيها أشياء مجردة بل شخص واحد حي . المسيحية ليس فيها سوى شخص المسيح فقط . وهو بالنسبة لنا كل هذه الأشياء !!

ما نحتاج أن ندركه أمام الله هو أنه في حياتنا الروحية لا توجد أشياء أو مواضيع بل فقط المسيح . ليس

أن المسيح يعطينا نوراً بل أنه هو نورنا. ليس أنه يقودنا في الطريق بل هو طريقنا. ليس أنه يعطينا الحياة بل هو حياتنا. ليس أنه يعلّمنا الحق بل هو الحق . هل ترون الفرق هنا ؟! كل ما يعطيه المسيح لنا هو ذاته نفسها !!

إن مسيح الله هو كل شيء لله . الله ليس عنده لنا شيء آخر سوى المسيح . الله لم يعطنا نوراً بل أعطانا المسيح . الله لم يعطنا طعاماً بل أعطانا المسيح . لم يعطنا الطريق والحق والحياة بل أعطانا المسيح. مسيح الله هو كل شيء وبعيداً عنه ليس لنا عند الله أى شيء.

الرسول بولس يعلن أن المسيح هو رجاؤنا

الرسول بولس قال نفس ما قاله ربنا يسوع المسيح. كان الرسول يعرف الرب جيداً وقال لنا بعض الحقائق الثمينة عنه. وأول هذه الحقائق ما قاله لتيموثاوس:

«يسوع المسيح (الذى هو) رجاؤنا»، أنه لا يقول إن رجاءنا هو في شخص المسيح بل أن المسيح هو نفسه رجاؤنا، ليس أننا نعلق رجاءنا على المسيح بل نتعلق بالمسيح رجائنا .

والمسيح هو حياتنا

وكتب الرسول بولس إلى أهل كولوسى «متى أُظهر المسيح حياتنا ..»، إنه لا يقول متى ظهر المسيح سننال حياة المجد بل يقول إن المسيح نفسه هو حياتنا . وإذا كان المسيح نفسه هو حياتنا فهل يحتاج المؤمن إلى شيء آخر غير المسيح ؟!

والمسيح هو حكمتنا وبرنا و قداستنا وفداؤنا

واحدة من أشهر الآيات الكتابية المُستخدمة في خدماتنا هي الواردة في (١كو١: ٣٠) «ومنه (من الله) أنتم بالمسيح يسوع ، الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً» الله لم يعطنا براً أو قداسة أو فداء أو

حكمة بل أعطانا المسيح لأن المسيح هو برنا وقداستنا وفداؤنا وحكمتنا ؛ ولأجل هذا نحن نقول إن مسيح الله هو كل ما عند الله لنا . المسيح هو كل الأمور والمواضيع التي يريد الله أن يمنحها لنا . وبعيداً عنه ليس عند الله ما يعطيه لنا !!

لو كان الرسول يقول إن الله جعل المسيح مُبرِّرنا لكان هذا مفهوماً من جميعنا . فكلنا يؤمن أن المسيح قد بررنا بموته وقيامته . لكن الرسول يقول إن الله جعل المسيح نفسه برّنا وهذا ما يغيب عن أذهان معظم المؤمنين ونحتاج أن ندركه ونفهمه .

الرسول لم يقل هنا أن المسيح مُقدِّسنا بل أنه قداستنا . المسيح لم يأتِ لكي يقدِّسنا بل ليكون هو بنفسه قداستنا. إن قداستنا ليست «شيئاً» . ليست أعمالاً أو أقوالاً بل هي شخص حي . شخص المسيح بنفسه !! وبالمثل لا يقول الرسول إن المسيح هو فادينا بل

يقول إنه فداؤنا ، هل مازال هذا يبدو غريباً على آذاننا ؟ هل مازلنا لا ندرك الفرق ؟!

شكراً لله لأجل نعمته الغنية ، لقد جعل المسيح فداءنا وفادينا ، وجعله قداستنا ومُقدِّسنا ، وبرنا ومُبرِّرنا، وحكمتنا ومَن يعطينا الحكمة !!

داود أيضاً يعلن أن المسيح هو خلاصنا

عندما نقول إن الرب يسوع هو مُخلّصنا يبدو كلامنا مألوفاً ومقبولاً من الكل ، لكن داود يقول بالوحى «الرب نورى وخلاصى»، الرب ليس فقط مُخلّصنا بل هو نفسه خلاصنا، الله أعلن لداود منذ القديم أن المسيح سيكون مُخلصنا وخلاصنا في نفس الوقت، الله لم يعطنا مجرد خلاص بل أعطانا المسيح نفسه ليكون خلاصنا .

المسيحية الحية لا تمتلك إلا شخصاً حياً

قد تسألنى : لماذا تؤكد بشدة على هذه الحقيقة ؟

وأنا أجيبك : لأن هنا يوجد الفرق بين المسيحية الحية والمسيحية الميتة !! والفرق بينهما كبير ، الأولى روحية و الأخرى جسدية ، الأولى من الله والأخرى من صنع الإنسان.

عندما ندرس كلمة الله جيداً سنكتشف أن الكتاب يدور كله حول «شخص» واحد ، شخص وليس شيئاً. وهذا الشخص هو الرب يسوع المسيح ، ولا نستطيع أن نجد أى شىء سوى هذا الشخص المبارك .

توجد مشكلة كبيرة بين أبناء الله اليوم ، وهي أن المسيحية التي يعرفونها اليوم مؤلفة من أشياء وأجزاء كثيرة ، أنت تأخذ نعمة و أنا آخذ موهبة ، وهو ينطق بالوعظ وآخر يختبر بعض التغيير في سلوكه ، هذا الأخ يمتلك بعض المحبة وذاك لديه صبر وآخر عنده تواضع ، وهذه الأشياء معاً تُسمَّى بالمسيحية !! كلا، ليست هذه المسيحية. المسيحية هى شخص المسيح ، المسيحية

ليست أشــياء يعطيها المســيح بل هي المسيح يعطي نفسه لشعبه !!

هل تميِّــزون الفرق بين المســيحية الحقيقية والمزيفة؟ إنهمــا مختلفــان تمامــاً ، المســيحية ليســت أشــياء يعطينا إياها المســيح بل هي المســيح نفسه يعمل في حياتنا.المشــكلة اليــوم أن النــاس تعتبر أن المســيحية هي مجموعة من عطايا المســيح ، عندمــا أكون خاطئاً يعطيني المســيح الغفران والخــلاص وعندما أصير مؤمناً يعطينــي المحبة والتواضــع وطول الأناة ..إلــخ ، لكن هذه ليست المسيحية.

لا توجد أشياء مجردة في المسيحية

لا توجــد أمام الله أشــياء مجرَّدة لكــي يعطيها لنا وليس عند الله لنــا إلا شــخص المســيــح نفســه. الله لا يعطينا أشــياء مجردة تُسـمى المحبة والتواضع وطول الأناة .. بل يعطينا شــخص ابنه الوحيد يســوع المسيح.

والمسيح هو الذي صار لنا تواضعنا ومحبتنا وطول أناتنا ، المسيح يصير فينا كل ما نحتاج إليه وما نحيا به ، وهذه فقط هى المسيحية الحقيقية .

من فضلكم لاحظوا أنه ليس هناك أي شـيء مجرَّد في المســيحية. لا تستطيع أن تجد عنصراً مجرَّداً فيها بل كل أمر في المسيحية الحقيقية موجود في شخص حى. وهذا الشخص الذى يحتوى كل شـىء هو المسيح يسوع .

دعونــا نقول هــذا الحق بكلمــات أخــرى : إن محبتنا ليســت «شــيئاً» بل «شــخصاً» و «قداســتنا» ليست «اختبارا» بل «إنســاناً» و «برنا» ليس «تصرفاً» بل «كائناً حيــاً» !! عندما أُفتدينا و خلُصنا لم نأخذ أشــياء مجردة لأن فداءنا وخلاصنا هما شخص المسيح نفسه ، وبالمثل محبتنا وتواضعنا وطول أناتنا و قداستنا هى الرب نفسه عاملاً فينا وليســت أشــياء يمكن أن نأخذها منه. ينبغى أن يكون المســيح هو كل شــىء فــي حيــاة المؤمن منذ الآن وليــس فقط في الأبدية. إن الكثيريــن من أبناء الله

يعانون الهزيمة والتدهور الروحى لأنهم يحاولون أن ينالوا أشـياء من الله بدلاً من أن يُخضِعوا حياتهم لشـخص المسيح نفسه ، إنهم يأخذون « عطايا » بدلاً من المسيح و يمتلكون «مواضيع» و ليس «شخصاً». ولذلك يفقدون بسهولة ما أخذوه !!

عندما نسـمع كلمة الله تقرر أنـه هكذا أحب الله العالـم حتى بذل ابنـه الوحيد (يـو٣: ١٦) هل يمكننا أن نذهـب إلى الـرب ونصلي قائلـين «يارب. لقـد أحببتنى وأعطيتنى نفسـك ، أرجـوك أن تعطيني الخـلاص أيضاً !! لقد قبلتك مخلصي لذلك أريدك أن تمنحنى خلاصك الآن»!! أليـس مـن الغبـاء أن نطلب «الخـلاص» كما لو أن «المُخلـص» نفسـه ليس كافياً !! لكـن هذا ما يفعله الكثيرون منا للأسف !!

ما هو الإنجيـل الذى نكرز به ؟ نحن نعلن أن الله قد أعطانـا ابنـه الوحيد مُخلصاً ، لمـاذا إذاً نصلى ونطلب

شيئاً اسمه «الخلاص»؟! الله ليس لديه سوى ابن وحيد وهـذا الابن هو خلاصنـا. وبحصولنا علـى المُخلص ننال ضمنيـاً عطية الخلاص. أليس مـن الخطأ أن نقول للرب «مادمـتَ قد صـرتَ مُخلصى ليتـك تعطينى الخلاص أيضاً» !!

أنـا هـو ..

اليـوم نحن مؤمنـون ومُخلَّصـون والله قـد أعطانا المسيح نفسه ليكون كل شىء لنا ومع ذلك نحن مازلنا نسـأل الله لأجل هذا الأمـر أو ذاك. نود لو نمتلك عشـرة أشـياء أو مائة أو ألف شىء روحى ونظن أن الله سيرضى بذلك. بينما الله يعلن لنا أن المسيح هو كل شىء لنا.

لأجل هذا نجد كلمة الله تعلن لنا أن اسـم المسـيح «أنا هـو» . وكم نحتاج أن نفهم ونختبـر المزيد مما يعنيه هذا الاسم المبارك.

خبز الحياة

فـي الإنجيل بحسـب يوحنـا يقول الرب «أنـا هو خبز

الحياة» إننا كثيراً ما نطلب شيئاً اسمه الخبز. إننا جائعون جداً حتى أننا نتوسل إلى الله لكى يعطينا خبزاً لكن لدهشتنا لا نحصل على شىء . وكل من يسأل لأجل الخبز لن يحصل على شىء البتة وسيظل جوعاناً !! لقد خدمت الرب لسنوات طويلة وطوال هذه السنوات لم أقابل شخصاً يصلى لأجل الخبز ويحصل عليه !!

قد تقول لى: هل يمكن أن تخطئ كلمة الله؟ ألم يقل الله «لأنه أشبع نفساً مشتهية وملأ نفساً جائعة خبزاً» (مز١٠٧: ٩) وأنا أجيبك : إن كلمة الله صادقة تماماً وهذا المعنى موجود أيضاً في (لو١: ٥٣) «أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين» لكن ما هى هذه الخيرات التي أعطاها الله ليشبع الجائعين ؟ إنها شخص المسيح نفسه !!

كثيراً ما نشعر بالجوع الروحى والخواء الداخلى لأننا نؤمن أن الله لديه الشبع الحقيقى نصلى ونسأل شبعاً لأنفسنا و نتوقع أن يعطينا الله خبزاً لنأكله. شيئاً ما

يشبع قلوبنا الخاوية. ولا نأخذ شيئاً. لكننا عندما نقترب من الرب أكثر ونؤمن به أكثر ونقبل المزيد من شخصه ونستمتع بحضوره أكثر نبدأ نشعر بالشبع والامتلاء . وما يدهشنا أننا لم نأخذ شيئاً ملموساً ولكننا شعرنا بالشبع . لم نحصل على الخبز الذى توقعناه لكننا امتلأنا خيراً !! لم نأخذ الأشياء التى توقعناها لكن بسبب اقترابنا إلى الرب نفسه وإيماننا به وقبولنا لشخصه نلنا الشبع الذى كنا نرجوه !! لأن خبز الله هو المسيح نفسه. لا يوجد عند الله شىء اسمه خبز بل فقط المسيح هو الخبز الحى النازل من السماء. الصينيون عندهم مثل يقول «شخص واحد لكل الأغراض» وهذا المثل يمكن تطبيقه بالتأكيد على أغراضنا الروحية. فمهما كانت الأشياء التى نطلبها من الله فهو دائماً يعطينا المسيح فقط. إنه شخص واحد تجتمع فيه كل الأغراض !!

برى وقداستى

أنا دائماً أشعر بالفرح ويفيض قلبى بتسبيح الله

لأجل سبب واحد وهو أن برى ليس هو سلوكى بل هو شخص الرب يسوع نفسه، ولأن برى هو شخص المسيح فأنا لا أمتلك البر فقط بل أستطيع أن أتكلم إلى برى وأسبِّحه وأعطيه المجد !! قد تتعجب من هذا القول وتتساءل كيف يمكن أن أعطى المجد لبرى ؟! أنا أفعل هذا لأن الرب يسوع نفسه هو برى!!

وأيضاً قداستى ليست هي تصرفاتي ، لذا أنا دائماً أسبِّح وأُعظِّم قداستى !! ولا أقصد طبعاً إنى أمتدح تصرفاتى بل على العكس أنا أبغض تصرفاتى النابعة مني إلا أنى أستطيع أن أمتدح قداستى لأن قداستى هي ربى !! كم أن هذين المفهومين عن القداسة مختلفان تماماً : الأول يعتبر القداسة «أشياء» بينما الثانى يراها شخص الرب نفسه!!

الله يهدم ويبنى

عدد كبير من الإخوة أخبرنى أنهم لم يعودوا ودعاء مثلما كانوا في بداية الإيمان ، والحقيقة أن هذا الاختبار

يجتاز فيه جميع المؤمنين، إن اختبارنا الروحى يكشف حقيقة واحدة وهى أننا نفقد أشياء كثيرة كلما تقدمنا في الإيمان !! كثيرون يقولون إنهم في بداية الإيمان كانوا طويلى الأناة ومتسامحين و لكنهم الآن لم يعودوا هكذا !! في البداية كانوا قادرين على تحمُّل كل تعامل سيء يواجهونه في البيت أو العمل لكنهم في الوقت الحالي لا يحتملون هذا التعامل وفي أعماقهم يريدون الانتقام، لم يعودوا متواضعين أو طويلي الأناة أو ودعاء أو محبين كما كانوا قبلاً !!

أقول لكل هؤلاء إن الله لابد أن يهدم كل «الأشياء» الجميلة التى كنا نستند عليها في بداية حياتنا الروحية!! في البداية عندما آمنا بالرب طلبنا من الله «محبة» لأننا شعرنا باحتياجنا إليها، والله أعطانا في ذلك الوقت «جرعة» من المحبة فاستطعنا وقتها أن نحب ، كان الهدف وقتها هو «المحبة» ولقد أعطانا الله ما نهدف إليه ، لكن دعوني أقول أن الله لن يسمح بأن تبقى المحبة هي الهدف

في حياتنا ولن يقبل بأن يظل «شيء» ما مهما كان هو هدفنا وموضوع صلاتنا وافتخارنا. لابد أن يأتى الوقت عندما يهدم الله كل «شيء» نستند عليه ونفتخر به، ويبني في أعماقنا اليقين بأن شخص المسيح نفسه هو برنا الذى نستند عليه ونفتخر به ونجد فيه كل احتياجنا، لابد أن ينزع منا هذا الشيء الذي يُسمى «محبة» ويزرع فينا الإيمان بأن المسيح هو محبتنا !!

كثيرون كانوا أصحاب مزاج حاد قبل أن يؤمنوا بالرب، لذلك فهم يعتبرون حصولهم على طول الأناة بعد الإيمان شيئاً حسناً ويقدّرون هذه الصفة كثيراً ويعتبرونها دليلاً على نوالهم للخلاص . وقد تسير بهم الأمور على ما يرام لعام أو عامين لكنهم يبدأون في الانحدار بعد ذلك وتعاودهم حدة المزاج مرة أخرى !!

عمل الهدم هذا يعمله الله في حياة جميع أولاده، لابد أن يزيل كل «شيء» من حياتنا، ليس فقط أشياء هذا

العالم بل حتى الأشياء والأغراض الروحية التي تحاول أن تشغل مكان المسيح في داخلنا، لابد أن يقودنا الله يوماً ما إلى إدراك أن المسيح هو كل حياتنا !!

في البداية يُنقى الله حياتنا من أشياء هذا العالم ثم بعد ذلك ينقينا حتى من الأشياء الروحية !! يبدأ يهدم صبرنا ومحبتنا وقوتنا وتواضعنا وكل شيء استندنا عليه قديماً لكي لا نعيش فيما بعد بالاتكال على هذه الأشياء بل بالاتكال على شخص المسيح وسنكون متواضعين ليس لأننا أخذنا تواضعاً بل لأننا أخذنا شخصاً متواضعاً يسكن فينا ، ليس شيئاً بل شخصاً !!

وهكذا يعمل الله عمل الهدم يومياً في حياة أولاده لكي يستطيع أيضاً أن يعمل فيهم عمل البناء يومياً، هذا هو أسلوب الله مع كل أولاده .

في بداية حياة الإيمان يعطينا الله «موهبة» أو «قوة» نستطيع بها أن نسلك بالصواب أمامه في هذا العالم ،

في موقف ما نشعر باحتياجنا لطول الأناة فنطلب قوة للتغلب على هذا الاحتياج فيعطينا الله القوة للسلوك بطول أناة ، وعندئذ نظن أن مشكلتنا مع طول الأناة قد انتهت ونفرح بهذا الاختبار ، وتمر الأيام ونواجه احتياجاً آخر وليكن للتواضع ، ومرة أخرى يعطينا الله قوة لكي نستطيع التواضع ، حتى أننا شعرنا أن مشكلتنا مع التواضع قد وجدت طريقها للحل ، وهكذا في كل يوم تبرز لنا مشكلة جديدة ونطلب من الله القوة لحلها ، وهكذا قضينا أيامنا الأولى في الإيمان نحاول أن نحل هذه المشكلة أو تلك ، واكتفينا بهذه الحلول وافتخرنا بالقوة التي حصلنا عليها .

إخوتى، الله سوف يهدم كل «الأشياء» في حياتنا لكى يعطينا شخصاً واحداً يكون كل شيء بالنسبة لنا، سيكون هو محبتنا وتواضعنا وطول أناتنا ووداعتنا في ذات الوقت، ينبغى أن يكون المسيح هو الكل بالنسبة لنا، وهذه هى المسيحية عملياً !! الله يبنى بداخلنا الإعلان

بأن المسيح هو كل شيء لنا، وسيستمر هذا الإعلان في ازدياد حتى نهاية الزمان عندما تعترف كل الخليقة بأن المسيح هو الكل في الكل !!

كخادم للمسيح أنا مهتم ومستأمن على الحياة الروحية لعدد كبير من الناس، وأحياناً أرى أن أحد الأشخاص يحتاج إلى نصيحة فأقول له «أخى، أنت تنقصك المحبة، في المرة القادمة ينبغي أن تُظهر محبة أكبر لأخيك» وهكذا أعتقد أنى دفعته للمحبة وأتوقع أنه سيستمع لنصيحتى وينجح في محبة أخيه، وسأعتبره شخصاً صالحاً لو فعل هذا وسأشعر براحة الضمير لأنى نجحت في إرشاده ، لكن الواقع أنى دفعته للمحبة وليس للمسيح، والمحبة بالنسبة له شيء وليست شخصاً ، مجرد نوع من السلوك الإنسانى، وهذا ما أسميه المسيحية السلوكية وهي تختلف عن المسيحية الكتابية الحقيقية !! المسيحية السلوكية تتكون من التمرُّن على عدد من السلوكيات الإنسانية

الجيدة. إنها تعتمد على مجهودات الإنسان ، الإنسان هو الذى يعمل ويسأل و يتوقع و يصلي ويؤمن و يقبل وينتظر وينجح في ممارسة المحبة . لهذا أقول إن المحبة في حياته ليست سوى شىء ، مادة للسلوك . هذا مختلف تماماً عن المحبة الحقيقية التي هي المسيح نفسه . المحبة هي المسيح وليست أنا ، المسيح هو الذي يحب وليس أنا ، وعندئذ تكون المحبة هي ناموس الحياة كلها وليست مجرد سلوك إرادي لحظي ، ويالها من حياة عظيمة تلك الحياة المسيحية !!

أرجو أن نكون قد فهمنا هذا ، فكم من مرات ساعدنا الإخوة على السير في سلوكيات حسنة ثم اكتشفوا بعد وقت طويل أنهم مازالوا في حاجة لمعرفة المسيح والثبات فيه ، وأنهم كانوا مشغولين بأشياء وليس بالمسيح ، وأن احتياجهم الحقيقي هو معرفة المسيح ككل شيء عند الله لهم !!

معرفة أكبر

ماذا أقصد بمعرفة المسيح ؟ وهل أقصد أن هؤلاء الإخوة لم يكونوا يعرفون المسيح على الإطلاق؟ كلا. أنا أقصد معرفة أكبر من المعرفة الأولية التى نأخذها وقت الخلاص. أقصد أن نعرف المسيح باعتباره كل شيء في حياتنا. أن نعرف أنه محبتنا وطول أناتنا ووداعتنا . مثل هذه المعرفة ستصنع تغييراً قوياً في حياتنا . لن تكون هناك أشياء في حياتنا فيما بعد بل شخص حى هو المسيح نفسه .

لن يكون هناك شيء اسمه «القداسة» نسعى وراءه كي نمتلكه لأننا أدركنا أن المسيح هو قداستنا . وكلما اقتربنا من شخصه والتصقنا به. تحررت حياتنا من كل النجاسات التي تعلق بنا. كل ما نحتاج إليه هو معرفة أكبر للمسيح وليس مجرد مجهودات للحصول على أشياء .

أرجو أن يلاحظ كل خدام المسيح هذا الحق : النفوس

لا تحتاج إلى مجرد تشجيع أو اجتهاد بل إلى معرفة حية للمسيح . تشجيعكم قد يدفع الناس لمزيد من أفعال البر الذاتي لكن إذا فتح الله عيونهم لمعرفة المسيح سيكون هو نفسه برَّهم الحقيقي .

يمكننا أن نكرر هذه الكلمات مئات المرات دون أن ندركها فعلاً . لكن عندما يفتح الله عيوننا سنرى أن كل ما نحتاج إليه هو شخص المسيح نفسه . كثيرون يعرفون المسيح كمبرِّرهم لكنهم يعيشون في خوف دائم من الله لأنهم لم يعرفوا أن المسيح نفسه هو برهم !! كثيرون يؤمنون أن المسيح هو مُقدِّسهم لكن تراهم دائماً غير مُقدسين تماماً . لماذا ؟ لأنهم يذهبون إلى الرب ويسألونه أن يعطيهم القوة ليكونوا قديسين . وبينما يسعون في هذا السبيل يكتشفون عدم قدرتهم على بلوغ القداسة. لكن عندما يفتح الله عيونهم وينير أذهانهم سيكتشفون أن المسيح شخصياً هو قداستهم. القوة للقداسة لا تكمن في قوة إرادتهم أو في

قوة يعطيها لهم الله لكنها تكمن في سُكنى شخص المسيح نفسه بداخلهم كقداستهم . القوة يمكن أن تُفقد لكن المسيح لا يمكن أن يُفقد !! برنا وقداستنا لا تستند على ما نفعله نحن بل على مدى وجود شخص المسيح بداخلنا . عندما نعرفه ككل شيء لنا ستُحل كل مشاكلنا . لذلك ليس لي رسالة لكم الآن سوى: اعرفوا المسيح ككل شيء لكم !!

أنا أعرف عدداً كبيراً من المؤمنين الذين يعرفون الرب يسوع كسيدهم وربهم لكنهم لا يعرفونه ككل شيء في حياتهم . يعرفونه كمُعطي البركات ولكنهم لا يعرفونه كالبركات ذاتها. عيونهم تنظر إلى أعماله وليس إلى شخصه. هؤلاء الإخوة يحتاجون إلى معرفة أكبر للرب. إنهم يعرفونه كفاديهم ومقدِّسهم ومبرِّرهم إلا أنهم ينبغي أن يعرفوه كفدائهم و قداستهم و برهم.

أخي، هل تعرف المسيح كمُخلِّصك أم كخلاصك؟ كفاديك أم كفدائك ؟ محرِّرك أم حريتك؟ كمُقدِّسك

أم قداستك ؟ كمُبرِّرك أم برك؟ أن تعرفه كمعطي البركات فهذه معرفة بدائية أما أن تعرفه كذات البركات ومجموعها فهذه معرفة أكبر وأعمق !!

للأسف توجد اليوم «أشياء» كثيرة جداً في حياة أولاد الله، مواضيع روحية كثيرة تشغل أفكارهم وتملأ صلواتهم . ليته يأتى اليوم الذي فيه نعرف معنى قول الرب «أنا هو» . وندرك أن كل الأشياء الروحية قد تجمَّعت لتصير شخصاً واحداً . عندئذ فقط سنستطيع أن نعرف قصد الله الأبدى.

إذا كانت قداستنا وبرنا و قوتنا ومواهبنا مازالت مجرد «أشياء» فنحن مازلنا نقف على خط البداية في الحياة المسيحية . لكن عندما نبدأ نرى كل هذه ليست كأشياء بل كالرب نفسه نكون عندئذ قد بدأنا نعرف الله وندرك قصده الأزلى، ومن وقتها فصاعداً سيصير الرب نفسه هو موضوع اهتمامنا وليست الأشياء .

لذلك قلت في البداية إن «الأشياء» التى يمتلكها

الكثير من الناس هى أشياء ميتة . وإذا أدركنا هذا فسوف تحيا هذه الأشياء وتتحول لشخص المسيح نفسه . لن يكون تجديدى «بركة» حصلت عليها بل شخصاً دخل إلى حياتى، كل بركات حياتنا ستكتسب لحماً ودماً وتصير كائناً حياً !!

في أحد الأيام اجتذبنا الرب يسوع إلى معرفته . واليوم هو يقودنا إلى معرفة أعمق حيث نعرفه ككل شيء في حياتنا، إنه يريد أن يحررنا من ذواتنا بل وحتى من التعلق بالأشياء الروحية، يريدنا من اليوم أن نقول بالحق إنه صار الكل في الكل لنا . يريد أن تشهد حياتنا اليومية أن المسيح هو الكل والكل صار في المسيح .

لو كنتُ اليوم طويل الأناة فهذا ليس أنا بل «هو»، الشخص الذى يعيش فيَّ هو طويل الأناة . لو كنت اليوم أحب الآخرين فهذا ليس لأنى حاولت بكل طاقتي أن أحب وليس لأني أخذت من الله قوة للمحبة بل لأن هناك شخصاً يسكن في داخلى و « هو » يحب كل الناس !! لو

رأيتني اليوم أغفر لمن أساء إليّ فهذا ليس لسماحتي أو مجهودي أو قدرتي بل هذا يعود بالكامل للشخص الذى يحيا فيّ و «هو» دائم الغفران للكل . إنه في الحقيقة «غفرانى» !! لو أنى اليوم متواضع فهذا ليس لأنى أشعر بكبريائى وأحاول أن أجاهد ضد هذا الكبرياء . فالتواضع لا يأتى بالضغط على كبريائنا حتى لا يظهر للناس. ولا يأتي من خلال تصميمنا الإرادى أن نكون متواضعين . لكنه يأتى من الشخص الساكن بداخلنا الذى «هو» دائماً وديع ومتواضع القلب. لأنه «هو» تواضعى لذلك أنا متواضع وهذا هو ناموس الحياة. ما هو ناموس الحياة ؟ إنه ليس إلا أن يصير المسيح كل حياتنا وبركاتنا .

إخوتى وأخواتى، أرجو أننا جميعاً نطلب من الله أن يفتح عيوننا لكى نرى أن كل «الأشياء» ستزول إن عاجلاً أو آجلاً وسيبقى فقط المسيح . لذلك دعونا من اليوم نتخذ المسيح كل شىء بالنسبة لنا . آمين.

الفصل الخامس

لا شىء سوى المسيح

« فقال لهم يسوع : متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو » (يو٨: ٢٨)

« لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في اللّه ، متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد » (كو٣: ٣، ٤)

« فإنه فيه خُلق الكل : ما في السماوات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى ، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين ، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل ، وهو رأس الجسد : الكنيسة ، الذي هو البداءة ، بكر من الأموات ، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء ، لأنه فيه سُر أن يحل كل الملء ، وأن يصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه ، بواسطته ، سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات » (كو١: ١٦-٢٠).

ما يفهمه الإنسان يحدد ما يطلبه

لقد أعطانا الله عطيته التي لا يُعبر عنها و هي ابنه يسوع المسيح. إلا أن فهم الإنسان لهذه العطية يختلف من مؤمن إلى آخر. البعض من أبناء الله يعتبرون الرب يسوع واحداً من ضمن عطايا الله العديدة. أو قل أنه العطية الأولى بين كل عطايا الله التى تُعد بالآلاف. بينما البعض الآخر من المؤمنين يعتبرون شخصه الكريم كعطية الله الوحيدة لهم . عطية الله الواحدة التى لا يُعبر عنها .

كثيرون من أبناء الله نالوا الخلاص عندما قبلوا الرب يسوع في البداية كمخلصهم . ولكنهم بعدئذ اكتشفوا أنهم مازالوا يحتاجون إلى أشياء كثيرة في حياتهم الروحية . البعض يكتشف أن الطبع المتسرع مازال باقياً حتى بعد الخلاص . وآخرون يلاحظون أن كبرياءهم مازال يتبعهم. وفريق ثالث مازال يشعر بنفس الخوف القديم .

ولأنهم يفهمون أن الله عنده لهم عطايا كثيرة يبدأون في طلب هذه العطية أو تلك من الله . هذا يطلب سلاماً وآخر طول أناة وثالث تواضعاً . وهم يعتبرون المسيح أحد هذه العطايا الكثيرة التى يطلبونها وإن كانوا بالطبع يقدِّرونه باعتباره الأول والأكثر أهمية بين عطايا الله المتعددة .

من العجيب أننا لا نبدأ نشعر بنقائصنا إلا بعد الإيمان . وكثيرون يتشككون في إيمانهم بسبب هذا الأمر. يعتقدون أنهم طالما أصبحوا مؤمنين فلابد أن تخلو حياتهم من العيوب والنقائص . ولذلك يبدأون الجهاد ضد هذه النقائص ويسعون لسد الثغرات الموجودة في حياتهم. ويرفعون الصلوات بجهاد وإيمان ومثابرة . وعندما يشعرون أنهم انتصروا على هذا النقص أو ذاك ينتابهم فرح غامر لأنهم أخذوا «عطية» من الله .

الكثيرون من أبناء الله الأعزاء ينظرون إلى عطايا الله ونعمته لأجل تسديد احتياجاتهم . يظنون أنه تنقصهم قطعة هنا أو قطعة هناك مثل الصورة في لعبة

«البازل ـ Puzzle» الشـهيرة التي تنقصها بعض القطع لكـي تكتمـل . ويعتقدون أن المطلوب مـن نعمة الله أن تمنحهـم تلك القطـع الناقصة لكي يشـعروا بالكمال والاكتفـاء . هذا الأخ يحتاج خمس قطع لكي يكتمل أما ذاك الأخ فمازال ينقصه عشـرة قطع !! هذا الأخ محبته ممتازة ولكنه سيكون رائعاً لو أضفنا إليه بعض التواضع وقليلاً من طول الأناة . لا شك ستكون حياته كاملة بعد تسديد هذه الثغرات !!

معظـم صلواتنا تـدور حول هذا الأمـر الذي ينقصنا أو ذاك. نظـن أن هـذه الأمور هي ما نحتـاج إليه وبالتالي تتحـرك إرادتنا نحوهـا ونطلب مـن الله أن يعطينا هذه الأمور بالتحديد . نحن نظن أننا نحتاج إلى عدة «أشياء» لو قام الله بتسديدها لصرنا على ما يرام . لكن هذا الظن ليـس صواباً يا إخوتـي . فأنا لم أجد فـي كتابي المقدس كله آية واحدة تقول إن الله سيعطينا هذا الشيء أو ذاك لكي يكمل نقصنا الروحي !! الله ليس عنده لنا أشـياء . الله ليس عنده لنا سوى شخص المسيح !!

مقياس العطية

إذا كان احتياجنا هو إلى أشـياء وعطايا فلابد لنا من مقياس نقيس به هذه الأشـياء . فما هـو المقياس الذي نقيس به عطايا الله ؟ لنفترض أنه ينقصنا طول أناة فما هـو بالضبط حجم ونوعية طول الأناة التي سـنطلبها مـن الله؟ نحن عـادة لا ننظر إلى السـماء بحثاً عن هذا المقياس لكننا دائماً ما ننظر حولنا بحثاً عنه بين الناس: «للأسـف أنا لست صبوراً مثل الأخ فلان، إنه طويل الأناة جداً بينما أنا مازلت عصبياً ومتسرعاً جداً . إنه وديع جداً بينما أنا متكبر للغاية . ليتني أسـتطيع أن أكون صبوراً ووديعاً مثله».

أذكـر أني صليت لأول مرة بعـد نوالي الخلاص وطلبت من الـرب أن يعطينى كتاباً مقدسـاً مثـل الكتاب الذى يمتلكـه أحد الإخوة !! إننا دائمـاً نصلى لأجل ما نراه عند الآخرين ولا نجده عندنا . فالإنسـان لا يسـتطيع أن يصلى

من أجل شيء لم يره من قبل. لا نستطيع أن نطلب من الله أن يعطينا شيئاً غير محدد التفاصيل . فالأشياء لابد لها من مقاييس تحددها . لذلك نحن نصلي لأجل طول أناة الأخ فلان و تواضع ووداعة الأخت فلانة !!

أسألك سؤالاً افتراضياً : هل ستكون راضياً لو أخذ الله طول أناة الأخ فلان ووضعها بداخلك ؟ من المرجح أنك ستكون مسروراً وسترضى تماماً بهذه الإضافة . لماذا؟ لأنك تظن أن طول الأناة هى «شيء» يمتلكه الآخرون ولا تمتلكه أنت. وطالما هناك شيء اسمه طول الأناة فأنت ترغب في امتلاكه. وكثيراً ما تميل في داخلك للوم نفسك وتقريعها لأنك لا تمتلك هذه الصفة الجميلة . وأحياناً تصاب في أعماقك بصغر النفس والرثاء للذات لأجل هذا الطبع العصبي الذى أنت مُبتلى به . أنت تعتقد أن هناك شيئاً عند الله اسمه طول الأناة وأن بعض الإخوة حصلوا على هذا الشيء وكم سيكون جميلاً أن تحصل أنت أيضاً عليه.

التدين المزيف والمسيحية الحقيقية

أقول بكل صراحة إن هنا يكمن الاختلاف الأساسي بين التدين المزيف والمسيحية الحقيقية !! في الديانة المزيفة يبحث الناس عن «أشياء» يعتقدون أنها موجودة في كل مكان ماعدا حياتهم . يظنون أن كثيرين يمتلكون هذا الشيء وهم لا يمتلكونه . ولذلك هم يسعون ويبحثون عن هذا الشيء . وإذا تحقق بعض التحسن في حياتهم يفرحون بامتلاكهم الشيء الذي كانوا يبحثون عنه. أما في المسيحية الحقيقية فلا يوجد سوى :

المسيح وحده

ما يفشل معظم الناس في معرفته هو أنه في المسيحية الحقيقية لا توجد « أشياء » بل فقط المسيح. لا توجد أشياء تُسمى « طول أناة » أو « تواضع » في العالم الروحي بل فقط يوجد المسيح والمسيح وحده . ولكى نفهم هذا الحق نحن نحتاج إلى ما يلى :

استنارة أعمق

في بداية حياتنا الروحية أخذنا استنارة من الله لكي نفهم أن ما نحتاج إليه للخلاص هو عمل المسيح وليس أعمالنا الصالحة . لقد خلصنا بواسطة كفارة المسيح وليس بمجهوداتنا . وبالمثل نحن نحتاج اليوم إلى استنارة أعمق لكي نرى أننا نحتاج المسيح نفسه وليس مجرد أشياء منه . ومثلما انهارت أشياء كثيرة بعدما أخذنا الاستنارة الأولى هكذا اليوم لابد أن تنهار أشياء كثيرة عندما نأخذ الاستنارة الأعمق . ربما كان ما انهار في أول مرة هو خطايا وشرور لكن ما سينهار هذه المرة هو قيم ومبادئ تبدو روحية و جميلة !!

عندما أخذنا الاستنارة أول مرة تحطم كبرياؤنا ومجدنا الذاتي وفخرنا الباطل . أما اليوم فما يجب أن يتحطم هو تواضعنا وطول أناتنا ومحبتنا وكل القيم النفسانية التى حاولنا أن نصنعها في حياتنا. وينبغى أن تتحطم أمام أعيننا لكى نفهم أن المسيح وحده هو حياتنا وهو

كل شىء لنا . كم تختلف المسيحية الحقيقية كثيراً عن المسيحية المزيفة التى اعتادها الناس!!

كثيرون يأتون إليّ ويسألونني عن حياتهم الروحية ومجهوداتهم لتحسينها وكيفية إضافة بعض الصفات الحسنة إليها . ويكون جوابي بمثابة الصدمة لهم . إذ أقول لهم : بخصوص المحبة أنتم محبون جداً وبالنظر للتواضع لاشك أنكم متواضعون تماماً . أنتم أمناء في أعمالكم ومؤدبون جداً في سلوككم . دائماً لديكم رغبة في المعونة والمساعدة . بحسب مقياس الإنسان أقول : أين يجد المرء مسيحيين صالحين مثلكم ؟!! وبرغم كل هذا ينبغي أن أخبركم مباشرة وبصراحة أن كل ما تمتلكونه في أنفسكم هو مجرد أشياء . ينبغي أن تدركوا أن القيم الروحية الحقيقية في نظر الله ليست «أشياء» بل هي الرب يسوع نفسه . ماله قيمة أمام الله ليس هو ما تمتلكه ولا ما تستطيع أن تفعله ولا حتى ما تستطيع الحصول عليه باجتهادك بل ما يكّونه المسيح بداخلك. إذا

لم يحيا المسيح داخلك بكل هذه القيم. فلا توجد قيمة روحية فــي حياتك أمام الله. في العالم الروحي الحقيقي لا يوجد سوى المســيح . وشخصه الكريم هو كل ما عند الله لنا !!

كل مَن يلمس المسيح يلمس الحياة

قد يكون مفيداً في هذا الســياق أن نشــير إلى بعض الخبـرات العمليــة . واســمحوا لــى أن أتكلــم قليلاً من اختبــارى الشــخصي : منذ عدة أيام حــدث ظرف صعب فــي منزل أحد الإخــوة . وكان الواجب يحتم عليّ أن أقوم بزيارتــه. لأنه من الطبيعــي أن يكون المــرء متعاطفاً مع الآخرين في ظروفهم الصعبة . وطالما ذهبت لزيارته فلابد أن أكون مســتعداً لمســاعدته. أولاً بأن أشاركه بمشاعري الشــخصية وثانياً بأن أساعده للخروج من الظرف الذي حدث له. وهكذا تحركت فعلاً لزيارة هذا الأخ . لكني بدأت أشعر بشــيء غريب يحدث في داخلى . كنت كلما سرت

في طريقى. شعرت بالبرودة تسرى في روحى . حتى عندما وصلت لمنزل هذا الأخ كانت روحى باردة كالثلج !!

فــي الحال أدركت أنــي كنت أتلامس مع أشــياء ميتة وليس مع الرب الحي . كانت نفسي هي التي تتحرك وليس الرب هو المتحرك فيّ . كنت أريد أن أكون متعاطفاً وودوداً . كنت أريد أن أصنع عملاً من أعمال المحبة الأخوية . ولكني بهذا كنت أتلامس مع « أشياء » ميتة ليس فيها حياة !! العمــل في حد ذاته يبدو صالحــاً وجديراً بالتقدير لكن أنا الذى كنت أعمله وليس المســيح الســاكن فيّ . وما هي نتيجــة العمل الذي أعمله أنا وليس الرب ؟ الموت والبرودة الروحية اللذان كنت أشعر بهما !!

قد أبدأ عملاً حســناً ولكني لا أشعر بالحياة تنبض بداخلي . إنه إذاً عمل ميت من أعمال النفس الإنسانية. قد يكون عملاً ودوداً ولكني لا أجد الرب فيه. إن نفســي تريد أن تكون عطوفة ولكنى أشعر ببرودة الموت لأن الرب ليس هو العامل فيّ . في كل مرة يكون الرب هو العامل

فيّ أشــعر بالحياة تنبض في داخلى. إن كنا نتعامل مع المســيح الموجود بداخلنا فنحن نتعامل مع الحياة ، أما إذا كنــا نتعامل مع قيم وســلوكيات نفســية فنحن نتعامل مع أشــياء ميتة ليس فيها حياة ولا تستطيع أن تعطى حياة .

ينبغى أن نفهم أن المســيحية الحقيقية هي المسيح نفسه، وحياة المؤمن المسيحي هي أيضاً المسيح نفسه، لا تصنــع كومة مــن الأشــياء الصالحة وتنظــر إلى هذه الكومــة باعتبارها الحياة المســيحية !! إن اســتطعت أن تجمــع كل الصفات الحســنة التــى فــي الأرض وتضعها في حياة إنســان واحــد فأنت بعد لم تصنــع منه مؤمناً مســيحياً !! **قد يرى فيه الناس صفات حسنة وجميلة لكنهم لن يروا فيه المسيح !!**

فــي بداية خدمتي قررت أن أكون رقيقاً مع شــركائي في الخدمة. قررت ألا أُســبب إحراجاً لأحد ولا أتكلم كلاماً يؤذى مشاعر أحد. حفظتُ نفسى من التدخل في شئون

الآخريــن وحرصت ألا يخرج أحدهم مــن بيتي متضايقاً ، كنــت أفرّط في حق نفســي كثيراً لكــي أحفظ للآخرين ماء وجوههــم ، وإذا كان ينبغى أن يحــزن أحد فليكن أنا وليس أى شخص آخر ، ورغم أن سلوكي هذا كان يبدو في منتهى الجمــال والرقة إلا أني كنت أشــعر دائماً بالبرودة والجفــاف في علاقتي مــع الإخوة !! كنت أحــاول أن أكون شــخصاً صالحاً ولطيفاً تجاه الكل وفي كل المواقف ولكن لدهشتي كنت أشــعر بعد كل موقف بموت داخلي بدون أى نبض للحياة !!

لم يكن هناك ســوى تفســير واحد للبــرودة والجفاف اللذين أشعر بهما : لقد كانت الرقة التي أتعامل بها مع الإخوة من نتاج مجهودى الشخصي ، لم يكن المسيح هو الرقيق فيّ ومن خلالي ، كنت أســتمد ســلوكي من قدرة نفسية موجودة بداخلى وليس من المسيح ، ولذلك كنت أشــعر بالموت لأنــي كنت أتلامس مع شــيء ميت، وكلما كنت أستمر في هذا السلوك كنت أشعر بالضعف أكثر،

حتى بدأت قواي الروحية تضمحل وتنتهي وشعرت بعدم القدرة للاستمرار على نفس المنوال !!

خدمة الله بلا شك عمل جميل ورائع وعادة يتطلب منا أن نعانى ونضحِّي لأجل الآخرين، أن ننفِق ونُنفَق، ورغم ذلك كثيراً ما يشعر الخادم بالجفاف في أثناء الخدمة، ويشعر بالضعف والخوار يسريان في أعماقه . ويبدأ يلوم نفسه ويشعر أن هناك خطأ ما . أين الخطأ ؟ الخطأ بدأ حين اعتقدنا أننا نستطيع أن نخدم الله بأنفسنا . وبدأنا نتحرك بقوانا وإمكانياتنا . عندئذ لابد أن نشعر بالجفاف والموت لأننا نتعامل مع «أشياء» ميتة جافة وليس مع رب الحياة .

خلاصة الأمر :

إذا كنا نتعامل مع مجرد « أشياء » فلابد أن نشعر بالجفاف والموت لأننا نتعامل مع كيان ميت ليس فيه حياة، حتى لو كانت هذه الأشياء صفات وقيم روحية جميلة

وممدوحة من الناس . أما متى تعاملنا مع المسيح الساكن فينا فسوف نشعر بنبض الحياة وقوتها تسري في داخلنا لأننا نتعامل مع الحياة، لأن المسيح هو نفسه الحياة .

كُلْ من شجرة الحياة فتحيا !!

أيها الأحباء إننا لا نسلك بحسب قانون معرفة الخير والشر بل بحسب قانون الحياة . ما يحكم تصرفاتنا ليس مدى جمال العمل الذي نصنعه أو مدى صحته ومشروعيته، ما يحكمنا هو مدى الحياة الموجودة في هذا العمل، هل الرب الحي بداخلنا هو الذي يقوم بهذا العمل فينا أم نحن القائمون به؟.

كثير من المؤمنين يظنون أن الله سيغضب منا إذا فعلنا أفعالاً شريرة وخاطئة . **لكن الحقيقة أن الله كثيراً ما يغضب منا لأننا فعلنا أعمالاً تبدو صالحة** !! لأن المقياس الذي يقيس به الله أعمالنا ليس مقياس معرفة الخير والشر بل مقياس الحياة . إذا امتدت أيادينا لتقطف

ثمار شجرة معرفة الخير والشر وتأكلها فلابد أن نشعر بالموت والجفاف . أما إذا أكلنا من ثمر شجرة الحياة سنجد الحياة تسري فينا وتملأنا. إذا قمنا بأعمال رائعة مدفوعين بالرغبة في فعل الخير وتجنب الشر فلا قيمة أمام الله لهذه الأعمال مهما بدت صالحة . أما إذا كان رب الحياة الساكن فينا هو المتحرك بداخلنا لفعل هذه الأعمال فهذا وحده المقبول أمام الله والمُسر لقلبه .

نوعان من الحياة المسيحية

يوجد نوعان من الحياة المسيحية تجدهما بين أبناء الله، النوع الأول مملوء من «الأشياء» بينما الآخر مملوء من «المسيح» !! قد يبدو في الظاهر أنهما متشابهان جداً حتى أنك تجد صعوبة بالغة في تحديد الاختلاف بينهما. لكن الحقيقة أنهما مختلفان كل الاختلاف أمام الله ، كلاهما قد يتحدث عن التواضع والوداعة والمحبة والغفران حتى أنك لا تستطيع التمييز بينهما من الخارج ، لكن

الحقيقة الماثلة أمام الله أن احدهما مجرد «كومة» من «الأشياء» بينما الآخر يحيا فيه «المسيح» نفسه، كم أنهما متضادان تماماً من الداخل !!

عمل الصليب

دعونى أقولها بصراحة : إذا كنا نريد أن نمتلك مجموعة من القيم الجميلة والصفات الحسنة فلن نستطيع أن نقبل عمل الصليب بداخلنا ، لأن الصليب يحكم على كل ما نظنه جميلاً في ذواتنا ويجرِّدنا مما نعتقد أنه صفات حسنة فينا. أما إذا كنا نريد أن نمتلك ونعيش المسيح نفسه فسوف نقبل عمل الصليب بداخلنا ونتعلم كيف نخضع له . الصليب لا يحكم على خطايانا فقط بل أيضاً على كل نشاطات الجسد. إنه يميت ليس فقط آثامنا بل أيضاً برنا الذاتي . هذا الحق كثيراً ما سبب صعوبات للعديد من أبناء الله الأعزاء !!

كثيرون من أبناء الله يظنون أنه من المفروض أن

يعملوا أعمالاً حسـنة . وعندما يعملون أعمالاً حسـنة يفرحـون ويفتخرون بهـا ويعتقـدون أن الله راضٍ عنهم بسـبب هذه الأعمال . والحقيقة أنهـم لا يدركون أن هذه الأعمـال مجرد « أشـياء » وليسـت المسـيح . ولكنهم إذا دخلوا إلـى محضر الله سـيدركون ويتعلَّمون أن الله لا يقبل إلا المسـيح نفسـه . أمام الله المسـيح هو الخير. المسيح هو الحياة . وعندما ندرك هذا الحق في محضر الله يبدأ الصليب عمله بداخلنـا ويدين كل عمل لم يقم به المسيح فينا .

عندمـا ندرك هذا الحـق ويعمل فينـا الصليب عمله الكامل سـنتعلم كيف نعيش بالمسـيح الذي بداخلنا. عندما يكون المسـيح فينا ساكناً فلن نستطيع نحن أن نتحـرك . وعندما يظـل صامتاً كيف نسـتطيع نحن أن نتكلم ؟! بحسـب إمكانياتنا نحن نسـتطيع أن نتكلم كلاماً كثيراً وكلاماً حسناً ولكن لأن الرب صامت بداخلنا فلن نجرؤ أن نتكلم بكلمة واحدة . لأننا إذا فعلنا فسـوف

نتلامس مع الموت ونبدأ نشـعر بالضعف والخواء وينتشر الجفاف بداخلنا !!

كان من السـهل علينا فيما مضى أن نساعد الناس في مجالات عديدة ونكتسـب مديحهم واستحسانهم باعتبارنـا من ذوي القلوب الرحيمـة . لكننا الآن إذا فعلنا نفس الأعمال نشـعر فوراً بالجفاف الداخلي والموت . لماذا؟ لأن الصليـب قد عمـل عمله فينا واسـتطاع أن يفصل داخلنـا بين الأعمـال النابعة من ذواتنا وتلـك النابعة من المسيح .

إذا كنـا نريد أن نتحـرك مدفوعـين بالرغبة في فعل الحسن والمقبول أمام الناس فلن نحتاج إذاً لعمل الصليب داخلنـا ولن نفهم هـذا العمل ولن نقبلـه !! أما إذا كنا نريد أن نتحرك بالحياة التي في المسـيح فسـوف نشـعر عندئذ باحتياجنا لعمل الصليب بداخلنا لكي يميز ويدين كل أعمـال الذات فينا . سـنحتاج إليـه لكي يفصل بين

التحـــرك الذي من المســـيح والتحرك الذي من أنفســـنا ، ســـنحب عمل الصليب ونقبله ونخضع لـــه لأننا نريد أن نحيا بالمسيح فقط !!

آه يا إخوتى ، **إننا نحتاج أن نطلب من الله أن يحررنا من "أعمالنا الحســـنة" تماماً كما نطلب منه أن يحررنا من خطايانا !!** بل لعل الخلاص من الخطية يكون أســـهل كثيـــراً من الخلاص من أعمال الذات الحســـنة ، لأن الخطية واضحـــة ومُدانة ومرفوضة فـــي ضمائرنا بينمـــا أعمالنا الحسنة مازالت تحظى منا بالتعاطف والقبول !!

المسيح حياتنا

«متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتـم أيضاً معه في المجـد» (كو٣: ٤)

يقول الكتاب إن المسيح هو حياتنا. إنه الحياة لأرواحنا وأجســـادنا ، إنه لا يمنحنا الحياة فحســـب بل هو نفســـه حياتنـــا ، ولكـــي نفهم هـــذا دعونـــا ننظر لأمر الشـــفاء

الجســـدي ، عندما نصاب بالأمراض لاشـــك أننا نبحث عن الشـــفاء ، وهنا ينقســـم المؤمنون إلى قسمين : القسم الأول يؤمنون بأن الرب هو طبيبهم الذي يمنحهم الشفاء والصحة ، أما القســـم الثاني فيؤمنون بأن الرب نفســـه هو شفاؤهم .

القســـم الأول يؤمنـــون أن الـــرب الحـــي القـــادر على كل شـــيء ســـوف يلمس أجســـادهم ويمنحهم الشفاء، وأخشـــى أن أقول إنه بالنســـبة لهذا القسم يظل الرب خـــارج حياتهم كمـــا يظل الطبيب خـــارج حياة مرضاه ، الطبيـــب يقترب من المريض إلى حـــين ثم يبتعد لأن لكل منهمـــا حياتـــه الخاصـــة، الطبيـــب يقترب مـــن مريضه ويتعامل معه حتى يتم الشـــفاء ثـــم يذهب كل منهما إلى طريقه، هؤلاء المؤمنون يطلبون «شـــيئاً» خارجياً من الرب ألا وهو الشفاء.

وفـــي الكثيـــر مـــن الأحيـــان يمـــد الله يـــده بالشـــفاء ويســـتجيب لطلبة هذا القســـم من المؤمنين ، لكنه في

الواقع يفعل هذا بقلب الآب الذي يُسر بتسديد احتياج أطفاله الصغار . بالنسبة للمؤمن «الطفل» قد يقبل الله أن يكون بالنسبة له الطبيب المُعالج ومانح الشفاء، لكن هذا ليس فكر الله الكامل . ولابد بعد فترة طالت أو قصرت أن يبدأ في التعامل مع هذا المؤمن الطفل لكى يصل به للنضج . لن يظل الله مجرد الطبيب بالنسبة لهذا المؤمن وقد لا يعطيه الشفاء في المرة التالية لأنه يدِّخر له الأفضل . فالله يريد أن يصل بأبنائه الناضجين إلى إدراك أفضل، يريدهم أن يدركوا أنه ليس الرب شافيهم فحسب بل بالحرى هو الرب شفاؤهم . إنه ليس مجرد طبيب يهتم بهم أحياناً ويقترب منهم في وقت مرضهم ويعطيهم الشفاء بل هو نفسه الشفاء !!

الرب شفاؤنا

عدد كبير جداً من المؤمنين يعتبرون الشفاء «شيئاً» يأخذونه من الله، يظنون الشفاء شيئاً مستقلاً بذاته

عن شخص المسيح . وطالما ينالون الشفاء من الله فكل شيء على ما يرام . لكن الحقيقة أن الشفاء كامن في شخص المسيح نفسه وليس مستقل عنه .

انظروا إلى المرأة نازفة الدم (لو٨: ٤٣) لقد اقتربت إلى الرب من الخلف ولمست هدب ثوبه . ماذا حدث عندئذ ؟ لقد شعر الرب بأن قوة قد خرجت منه . قوة من الرب نفسه خرجت لشفائها . لم يعطها شيئاً مستقلاً عنه بل أعطاها قوة من نفسه . لم يمنحها شفاء بل كان هو ذاته شفاءها !! الحياة الموجودة في شخصه خرجت إليها وأعطت لجسدها المريض الحياة . وفي كل مكان ذهب إليه الرب كان يبذل نفسه لشفاء جميع الناس !!

القسم الثانى من المؤمنين يعتبرون الرب هو شفاؤهم وليس شافيهم . في وسط المرض والضعف يرفع المؤمن الناضج عينيه إلى السماء . وبرغم الألم يصلي قائلاً «يارب، أنا لا أريد أن تكون طبيبي ثم تمضي بعد نوالى الشفاء، وأنا لا أنظر إليك منتظراً أن تمنحنى

شــفاء أســتمتع به حتى في غيابك عني . يـا رب أنا أريد أن تكون أنت شــفائي. إن كنتُ أحتاج لطبيب فأنا أريدك طبيباً تسكن بداخلي. وإن كنتُ أحتاج لشفاء فأنا أحتاج الشفاء الموجود في شخصك».

أيهــا الأحباء إن شــفاءنا له ذات حيــة وليس مجرد شــيء ميت. إنه شــخص حــي. لقد صار الرب نفســه شفاءنا. الله شفاؤنا. هل تستطيعون الآن أن تروا الفرق بين هذين القســمين من المؤمنين ؟ إنهما مختلفان كل الاختلاف. لابد أن يأتي اليوم الذي نتعلم فيه هذا الدرس ونــدرك هذا الفــرق . لابد أن يأتي يــوم نطلب فيه ما هو أكثر من الشــفاء. لابد أن يأتي يوم ندرك أن الرب نفســه هو الحياة لأجسادنا.

هذا ليس معناه إننا لن نطلب الشــفاء ولن نناله. حاشـا . فإذا كـان الرب سـاكناً فينا فلابد أن تتأثر أجسـادنا بالشــفاء الموجود في شــخصه . إن علاقتنــا الروحية مــع الرب تترك بصمتها على أجســادنا . وكلما ازدادت

علاقتنا بالــرب عمقاً. تأثرت أجســادنا بهــذه العلاقة . الفــرق يكمــن فيمــا نتطلع إليــه ونطلبه ونشــعر بالاحتيــاج إليه. في البداية كنا نطلب الشــفاء ونريد أن نأخذه مــن الرب. أما بعد النضوج صرنا نطلب الرب نفســه وننتظر مشــيئته وعمله وهو بلا شك يحمل في شخصه كل الشفاء لنا.

أشــكر إلهي لأني نلت منه الشــفاء مــرات عديدة . أســتطيع أن أخبركم بتواريخ محددة كنت فيها مريضاً ثــم بتواريخ محــددة أخذت فيها من الله الشــفاء . إنها مرات كثيرة وكلما حاولت أن أحصيها كان يزداد عددها!! لكني أريد أن أشكر الله أكثر جداً لأنه في يوم محدد فتح عينيّ لأرى أن الرب يسوع المسيح هو نفسه شفائي. هذا حدث مرة واحدة ولـم يتكرر مــرة ثانيــة لأن هــذا الإعلان لا يحتــاج أن يتكرر. إنها مرة واحدة وإلى الأبد . مرة واحدة ارتفعت فيها عينيّ من على الشــفاء كشــيء إلى الرب نفســه كشــفائي . ومن يومها لم يعد شــفائي حالة أو

اختباراً بل صار شخصاً حياً. الحالات والاختبارات يمكن أن تُحصى وتُعد أما الشخص فلا يخضع للإحصاء أو التعدد. إنه شخص واحد وإلى الأبد !! أيها الأحباء، أن نطلب شفاءنا من الرب أو أن نطلب شخصه كشفائنا هذان طريقان مختلفان تماماً. الأول نهايته «شيء» أما الثاني فآخره «شخص» الرب نفسه.

الشفاء في حياة الرسول بولس

رغم أن الرسول بولس لم ينل الشفاء من الله لشوكته إلا أنه شُفي !! هل تلاحظ الفرق بين الأمرين؟! يخبرنا الرسول في (٢كو ١٢) أنه لم يحصل من الله على الشفاء باعتباره «شيئاً» مستقلاً إلا أنه أخذ فهماً يرفعه فوق المرض . لقد فهم أن نعمة الرب ستكفيه، وأن قوة الرب في ضعفه ستُكمل . أي أن الرب نفسه كان هو شفاءه من المرض . لقد فهم أن شفاءه يكمن في الرب الموجود في حياته بنعمته وقوته . **ورغم أن ضعف الجسد ظل موجوداً إلا أن الشفاء أيضاً ظل موجوداً!!**

لقد استمر المرض كما هو لكنه أدرك أن شفاءه أيضاً مستمر معه كل الوقت !!

إخوتي، ما هو مفهومنا عن الشفاء ؟ معظمنا يعتقد أن الشفاء هو زوال المرض ، وأنه لا يوجد شفاء إلا بخروج المرض من أجسادنا . لكن الحقيقة ليست هكذا دائماً . الشفاء في مفهومه الأعمق ليس خروج المرض من أجسادنا بل دخول الرب إلى أجسادنا . **الشفاء ليس غياب الضعف بل حضور القوة !!**

قبول الإعلان

أنا أتذكر جيداً كيف رأيت وقبلت هذا الإعلان لأول مرة . كان مثل نور الفجر الذي يبدأ ثم يتزايد ببطء حتى يشرق بكل بهائه . وسبب البطء في قبول هذا الإعلان أن ذهني لم يكن يستطيع أن يقبل إلا منطق «الأشياء». لقد اعتدنا على «الأشياء» وكل ما نراه حولنا حتى في المجال الروحي هو مجرد «أشياء» . كنت أحتاج شفاء في

أمر ما ولم أكن أفهم بعد أن الشفاء ليس شيئاً بل هو الرب نفسه ، لم أكن أفهم أن الرب يهيئني ليكون هو بشخصه كل شيء بالنسبة لي ، كنت أفهم أن الله أعطاني وعداً بالشفاء لكنى لم أكن أفهم أنه هو شفائي !!

وفي أحد الأيام كنت أقرأ قصة الرسول بولس في (٢كو ١٢) ووقفت متحيراً أمام فكرة طرأت لي : لماذا لم ينزع الرب الشوكة من جسد الرسول ؟! كنت أؤمن أنه من السهل جداً على الرب أن يعطي للرسول الشفاء وينزع الشوكة من جسده ، فلماذا لم يفعل هكذا ؟! بدا لي هذا الأمر غريباً حتى أني تحولت للصلاة طالباً فهماً من الله.

وبينما كنت أصلي بدأ الرب يذكّرني بموقف حدث معي منذ عدة سنوات مضت ، في عام ١٩٢٣ دُعيت لأعظ في إحدى المدن ، وفي طريقي للمدينة ركبت قارباً يبحر في نهر «مينج»، ولاحظت أن القارب كان يصطدم من حين

لآخر بصخور بارزة من قاع النهر ، كانت مياه النهر ضحلة في هذا الوقت من السنة وقاع النهر كان صخرياً ، حتى أن قائد القارب كان يضطر أحياناً إلى ربط القارب وسحبه بالحبال ، وعندما تذكرت هذا المشهد وجدت نفسي أصلي «أنه من السهل عليك يا رب أن تزيل هذه الصخور ، كم سيكون ممتعاً أن يبحر القارب بسهولة على مياه النهر لو أنك فقط أزلت هذه الصخور» !!

عندئذ بدأت أقرأ مرة أخرى (٢كو١٢) ووجدت أن هذه كانت صلاة بولس أيضاً ، كانت مياهه ضحلة والصخور تبرز حادة من قاع النهر ، لذلك كانت صلاته «يارب، هل لك أن تزيل هذه الصخور حتى يبحر قاربي بسهولة على المياه؟!» ولكن الله أجابه «أنا لن أزيل الصخور ولكني سأرفع منسوب المياه ، وعندما ترتفع المياه في النهر سيستطيع القارب أن يسير بسهولة مرتفعاً فوق الصخور» !! إخوتي الأعزاء ، إن حل مشاكلنا لا يكمن دائماً في «نزع» المعوقات لكن في «أخذ» قوة ترفعنا فوق المعوقات !!

هـــذه هـى طريقـــة الله معـنا فـي أحيـــان كـثيرة . نحـن نطلب الشـــفاء كـشـــيء نأخـذه مـــن الله . نريـــد دائـماً أن ينـــزع الله الـداء الـذي يعـوقنا . لكـــن الله يريـد أن يكـون هـو شـــفاءنا . يريـد أن يرفعـنا بنفســـه فـوق الضـعف والمرض . لقد ظـــل الضـعـف الخاص ببولس موجـــوداً لكـنه لم يعـد يحاول اجتيازه بقـواه الشـخصية . لقد صارت قـوة المسيح تظلله وترفعـه فـوق ضعـفـه . لم ينل شـفاء لكـنه شُـفـي !! لم ينزع الرب الضـعـف من جسـد الرسـول لكـنه حلَّ فيه بقوته ونعـمته فرفعـه فـوق الضـعـف حتى صار يفتخر في الضعـفـات !! إخـوتي . هل رأيتم الفرق بين أن يعـطينا الله شـفاء وبين أن يكـون هـو بنفسـه شـفاءنا ؟!

الأشياء لا تدوم

للأســـف مازال الكـثيرون مـن أبناء الله يســـعون خلـف الأشـــياء !! بعض الأخـوات أتين مؤخـراً ليتكـلمن معـي عن معـاناتهـن مع أبنائهـن وأزواجـهـن . ويطلبن معـونتي ليصرن

أكـثر صبراً وطول أناة . ظانين أنه إذا زادت « كـمية » الصبر في حياتهـن فســيكون كـل شـيء على ما يرام . يطلبن من الله « جرعـــة » إضافية من طول الأنـــاة ليتمكـنَّ من إدارة بيوتهـن بشـكـل سليم . وأحياناً يستجيب الله ويعـطيهـن نعـمة تجعلهـــن طويلات الأناة لمدة ثلاثـــة أو أربعـة أيام ثم يعـود كـل شـــيء كـما كـان. «طول الأنـــاة» الذى يمنحه الله له حدود زمنية يتناقص بعدها حتى يضمحل، لأنه مجرد «شـيء» فلابد أن ينتهي **لأن الأشياء لا تدوم** !!

ورغـــم أننا نأخذ هذه العطايا من الله بالصلاة إلا أنها تُســـتهلك وتنتهي . المقاومـــة والظروف التـــي نواجـهها تســـتهلك طاقتنا والعطايا التي نأخذها من الله . أحياناً يعطينا الله «أشياء» ليســـد بها احتياجاً مؤقتاً لأبنائه . وقد يتغاضى عن غبائهم ويستجيب طلباتهم ويعطيهم «الأشـــياء» التي يريدونها . لكـن هذه الأشياء لا تدوم والله لن يستمر يســـتجيب طلباتنا بهذا الشـكـل طويلاً . لابد

أن يقودنا آجلاً أو عاجلاً لكي نفهم أن المسيح هو كل شيء بالنسبة لنا .

بما أن الكتاب يعلن لنا الحق الخاص بكون المسيح هو كل شيء عند الله لنا ، وأن شخصه ينبغي أن يكون الكل في الكل ، لذلك أثق أن الله لن يسمح للأشياء بأن تحتل مكان المسيح في حياتنا ، ولن يسمح للمحبة والتواضع وطول الأناة وأية «أشياء» أخرى أن تظل تحظى باهتمامنا أكثر من اللازم. لابد أن يأتي اليوم الذي نقبل فيه الإعلان القائل بأن المسيح هو محبتنا وطول أناتنا وتواضعنا ، المسيح هو كل ما وهبه الله لنا ، المسيح هو عطية الله الوحيدة التي لا يُعبر عنها ، الله لم يمنحنا أشياء كثيرة بل عطية واحدة هى شخص الابن الوحيد ، وعندما نقبل هذا الإعلان ستنتهى كل التساؤلات والحيرة التي بداخلنا وسنجد كل الإجابات في شخص المسيح ، لن نجد في داخلنا سعياً وراء المحبة أو الصبر أو أي شيء آخر بل فقط وراء المسيح ، عندما تصير علاقتنا بالمسيح مطابقة

للنموذج الذي في فكر الله لن نجد بداخلنا سؤالاً أو طلبة سوى شخص المسيح .

ينبغى أن نعرف المسيح

في نظر الله كل المواضيع الروحية تدور حول موضوع واحد مركزي ألا وهو «معرفة المسيح». ماذا نقصد بمعرفة المسيح ؟! نقصد مدى إدراكنا أن المسيح صار كل شيء لنا. بعض المؤمنين يعرفون المسيح باعتباره محبتهم فقط بينما البعض الآخر يعرفونه كتواضعهم أيضاً ، البعض يعرفون الكثير من جوانب شخصه والبعض لم يعرفوا إلا القليل ، البعض يعرف المسيح باعتباره أربعة أو خمسة مواضيع بينما البعض الآخر يعرفونه ككل مواضيع حياتهم ، إن مقدار الأشياء التي صرنا نجدها في المسيح يحدد مقدار معرفتنا بشخصه ، معرفة المسيح ليست مجرد معرفة نظرية تتعلق بقبول الحق الكتابي عن شخصه بل هي معرفة حية وإيجابية وواقعية ، إنها معرفة شخصه باعتباره كل شيء في حياتنا !!

سـمعت مرة أحد الإخوة يشـهد كيـف أنه لم يكن يعرف شـيئاً عـن نقاء القلب ، وقلبه وأفـكاره كانت غير نقية بالمرة ، لكنه يشـكر الله الآن لأن المسيح صار نقاءه. فالله جعل المسـيح برنا وقداستنا ، وكلما عرف المسيح أكثـر تمتع بنقـاء القلب والأفـكار ، وأنت تسـتمع لهذه الشـهادة تدرك أن نقاء القلب والفكر ليس شيئاً نمتلكه بـل بالحري هو المسـيح نفسـه يحيا بنقائه فـي القلب والفكر ، هذا الأخ عرف المسـيح باعتباره قداسته ونقائه وطالما المسـيح يحيا بداخله فهو يسـتمتع بالقداسـة والنقاء ، إنه لا يمتلك شـيئاً اسـمه القداسـة بل بالحري يمتلك المسيح والمسيح يحمل في شخصه كل القداسة له. هذه هي المسيحية الحقيقية !!

دعوني أقول بصراحة : إن أي مؤمن لا يفتح الله عينيه ليرى أن المسيح هو كل شـيء بالنسبة له سيظل بدون فائـدة لله !! لن يسـتطيع هذا المؤمـن أن يمجّد الله في حياتـه لأنه لا يمتلك إلا مجهـوده وأعماله الصالحة ، رغم

أنه يجتهـد ويصلي ويأخذ من الله بعض الأشـياء إلا أن كل ما يملك سـيبقى مؤقتاً وزائلاً ، وأعمالنا مهما كانت سـتظل ضئيلة القيمة أمام الله ، هذا إذا كان لها قيمة على الإطلاق !!

يؤسـفني تكـرار القول إن معظـم المؤمنين ينظرون للنعمة على أنها شـيء يأخذونه من الله. وقليلون فقط هم الذين يرون أن النعمة هي شـخص المسـيح نفسـه ، إنـي أتطلّـع لليوم الـذي فيه يسـتطيع كل ابن لله أن يصلـي قائلاً : «يا رب أنا أسـبحك وأشـكرك لأن النعمة التى أخذتها منك هي شـخص المسيح ، نعمتك لى هى شـخص حي وليست مجرد أشياء ، نعمتك لها ذات حية و كيان أبدي!!»

التمييز بين الموت والحياة

بمجـرد أن نصل إلى هـذا الإدراك سنسـتطيع أن نميِّز بين الموت والحياة !! كثيرون من الإخوة يسـتطيعون فقط

التمييز بين الخير والشر لكنهم لا يستطيعون التمييز بين الموت والحياة !! لا يستطيعون التمييز بين العطايا والأشياء الميتة وبين الحياة التي في شخص المسيح نفسه. والسبب أنهم لم يفهموا بعد أن كل البركات الروحية هي في شخص المسيح وحده . لم يدركوا بعد أن العالم الروحي ليس فيه أشياء بل شخص المسيح الحي الذي يجمع في ذاته كل الأشياء والبركات الروحية .

عندما يفتح الله عينيك لتدرك هذا الحق ستبدأ حالاً في التمييز بين الموت والحياة . قد تلتقي يوماً بشخص يبدو لك هادئاً ورقيقاً ومتواضعاً ومحباً وحنوناً . ولكنك تستطيع التمييز بعينيك المفتوحتين أن كل ما يمتلكه هذا الشخص هو أشياء ميتة !! وسيكون هذا التمييز سهلاً لأن الرب قد فتح عينيك . تماماً كما يستطيع أي إنسان أن يميز بسهولة بين الخاتم والأصبع أو بين القبعة والرأس أو بين النظارة والعين أو بين الثوب والجسد هكذا يستطيع إنسان الله أن يميز بسهولة بين الأشياء الميتة والمسيح الحي !!

بالنسبة لمن لم يدرك هذا الحق يبدو هذا التمييز صعباً لكن بالنسبة لكل من فتح الرب عينيه على المسيح سيكون هذا التمييز سهلاً جداً . كل ما هو مجرد «شيء» هو موت ويصنع موتاً !! ولو كنت تمتلك التمييز الروحي لشعرت بالموت في أعماقك وأنت تقوم بعمل ناتج عن «شيء» وليس عن المسيح الحي بداخلك. ونتيجة هذا العمل لا يمكن أن تكون سوى موت وليس حياة !!

قد تُصادف خادماً لطيفاً جداً لكن تلاحظ أن تأثيره الروحي في الآخرين محدود جداً أو منعدم. والسبب هو أن ما يمتلكه من صفات حسنة هي مجرد صفات طبيعية جسدية . قد يسعدنا أن نجد خادماً لطيفاً ومحباً وصبوراً ومضحياً ولكن إذا كانت هذه مجرد صفات طبيعية فهي ليست سوى أشياء ميتة ولا يمكن أن تؤثر روحياً في الآخرين. لا يمكن للموت أن يصنع حياة !! ولو كان لديك التمييز الروحي لشعرت بالموت الكامن في هذه الصفات

الحسنة وربما أثارت بداخلك الإحساس بعدم الراحة أو حتى بالرغبة في المقاومة !!

الحياة تقاوم الموت

الحياة الموجودة بداخلنا لديها قوة لتمييز ومقاومة كل موت يوجد وسط جماعة الرب . ولنأخذ لهذا مثلاً: عندما توجد في اجتماع للصلاة تجد نفسك تتجاوب أحياناً مع بعض الصلوات بكلمة « آمين » . لماذا ؟ لأن الحياة التي بداخلك تلامست مع حياة المُصلي . الأخ الذي يصلي تلامس مع الحياة التي بداخلك لذلك تجاوبت مع صلاته بقولك « آمين » . لكن صلاة شخص آخر في نفس الاجتماع قد تُنتج بداخلك برودة وموتاً . ورغم أن الصلاة تبدو أمينة وصادقة إلا أنك تتمنى أن تنتهي . بل قد تشعر أنك تريد منع هذا الأخ من مواصلة الصلاة !! لماذا ؟! لأن هذا الأخ لا يمتلك إلا « أشياء » يصلي بها . وهذه الأشياء ميتة في ذاتها وينتشر الموت حولها . هذه الأشياء ليس لها قيمة روحية لأنها من صنع الإنسان !!

عندما ندرك هذا الحق لن نجد شيئاً نفعله أمام الله سوى أن ننتظره . ونحن ننتظر أمام الله سوف نكتشف شيئاً فشيئاً الشر الكامن في أفضل أعمالنا . تدريجياً سندرك أن الله يرفض أعمالنا الصالحة تماماً كما يرفض خطايانا !! إذا كان ينبغي أن يتوب الخطاة عن خطاياهم فأصحاب البر الذاتي والأعمال الصالحة ينبغي أيضاً أن يتوبوا عن أعمالهم !! **لأن الله يبغض صلاح الجسد تماماً كما يبغض خطايا الجسد** !! الله لا يقبل إلا شخصاً واحداً فقط ألا وهو ابنه يسوع المسيح الذي ينبغي أن يصير كل شيء بالنسبة لنا.

شكراً لله لأنه ينظر إلى المسيح وليس إليّ أنا . شكراً لله لأنه لا يتوقع مني أنا أي شيء بل من المسيح الساكن بداخلي . لست أنا الذي يحاول أن يكون متواضعاً بل المسيح بداخلي هو المتواضع . لست أنا الذي ينبغي أن يجاهد لكي يحب بل المسيح هو الذي يحب بداخلي . إنه لا يعطيني قوة لأفعل هذا أو ذاك بل هو نفسه قوتي . له المجد للأبد !!

خاتمة

آه يا إخوتي وأخواتي ، أنا لا أستطيع التعبير عن هذا الحق بكلمات أكثر، لكني أتمنى أن تكون الكلمات السابقة كافية لكي تلفت أنظاركم إلى هذا الحق الكتابي ، كم أشتاق أن تتعلموا هذا الحق مبكراً في حياتكم الروحية لكي توفِّروا على أنفسكم الكثير من المشقة ، ولأنه كلما مر الوقت دون أن نتعلمه يصير التعلُّم أكثر صعوبة، كلما كبرت كومة « الأشياء » في حياتنا ازدادت صعوبة النظر من خلالها !! كثرة الأشياء الروحية التي نفتخر بها تحجب عنا رؤية الحق الخاص بالمسيح باعتباره كل شيء في حياتنا، مما يضطر الله أن يهز حياتنا بعنف ويهدم أشياء كثيرة نفتخر بها ونحبها لكي يكون قادراً أن يلفت أنظارنا إلى المسيح وحده .

أنا أتطلع معكم إلى اليوم الذي يجمع فيه الله كل الأشياء ـ سواء ما في السماء أو ما على الأرض ـ في شخص المسيح ، عندئذ سيتم قول الكتاب إن المسيح هو الكل في الكل ، لكني أريد أن أسألكم : كيف تتوقعون أن

يصير المسيح هو الكل في الكل في المستقبل إذا كنتم لا تعرفونه اليوم كالكل في الكل في حياتكم ؟! كيف ندّعي أننا نشتاق لليوم الذي يصير فيه المسيح هو الكل في الأرض والسماء إذا كنا لا نستطيع أن نقبله اليوم كالكل في حياتنا ؟!

الله قد أعطانا ابنه الوحيد ليصير كل شيء في حياتنا، الله لم يعطنا أشياء بل أعطانا ذاته ، لذلك ينبغي أن نقبل المسيح ككل شيء بالنسبة لنا ، ينبغي ألا نظن أن هناك أشياء روحية بعيداً عن المسيح ، المسيح فقط هو «الروحي» وكل ما عداه أشياء جسدية فانية ، هذا الحق ينبغي أن يتثبَّت فينا وفي كل الكنيسة في الوقت الحاضر قبل أن نتطلع لتحقيقه بصورة كاملة وعامة في المستقبل ، عندما نفهم الآن كيف يكون المسيح هو محبتنا وصبرنا و سلامنا سنستطيع أن نفهم كيف سيكون الكل في الكل في المستقبل القريب ، ما نتعلمه اليوم ونعيشه في نطاق حياتنا المحدودة سيفيدنا جداً في ذلك اليوم حين يُستعلن ابن الله كالكل في الكل في الأرض والسماء ، له المجد للأبد !!

صلاة

يا رب هانحن أمامك نطلب منك نعمة . يا رب نحن نعترف أن عيوننا عمياء جداً ولا تستطيع أن تميِّز الأمور بوضوح . عيوننا تري الأشياء ولا ترى المسيح . الأشياء تبدو قريبة جداً بينما المسيح يبدو لنا بعيداً . إننا نطلب بكل قلوبنا أن تجعلنا نري الحق جلياً . نري المسيح وليس الأشياء . لنبتعد عن الأشياء الميتة ونمتلئ بالحياة . يا رب إننا بأمانة نطلب أن تخلِّصنا من الأشياء حتى نعرف المسيح شخصياً ويكون هو كل شيء في حياتنا . دع كل شيء فينا ينبض بالحياة حتى عندما ينظر الناس إلينا لا يروا إلا المسيح الحي !!

يا رب اجعلنا نفهم كيف أن هذين الطريقين مختلفان تماماً . كما أن طريق الأبرار يختلف تماماً عن طريق الأشرار كذلك وبنفس المقياس يختلف طريق المؤمن الحقيقي عن طريق المسيحي المزيف . نحن نحتاج بشدة إلى مزيد من

الحق والاستنارة . اكسرنا أمامك يا رب ولا تسمح لنا أن نخدع أنفسنا . لا تسمح أن نظن أننا نرى جيداً بينما نحن لا نري شيئاً بالمرة . لا تسمح أن نعتقد أننا في الطريق بينما نحن بعيداً تماماً عنه . لا تسمح أن نصدِّق أننا مملؤون بالحياة بينما الحقيقة أننا مملؤون بأشياء ميتة. يا رب المسنا وثبِّت شخصك بقوة فينا حتى تصير أنت الكل في الكل في حياتنا !!

يا رب بارك هذه الكلمات حتى تثمر وتحول إخوتي رجوعاً إليك. ما فشلتُ أنا في قوله تستطيع أن تقوله أنت. ليتك تغطي ضعفي الإنساني وتغفر حماقتي. ليتك تأخذ لنفسك مجداً في وسطنا . نحتاج أن ننطرح أمامك عرايا حتى نرى أنفسنا كما ترانا أنت . ليت هذا اليوم يكون يوم الكشف والفضح لكثيرين منا . ليت شعاعاً من نورك يقتحمنا ويفضح كل زيف فينا . ويميِّز بين شخصك وبين كل الأشياء الأخرى بداخلنا . ليتك تبارك كلمتك لنا وتمجِّد اسمك . في اسم ربنا يسوع المسيح. آمين.